الأطياف الخمسة

د. مظهر معين

قسم اللغة العربية و آدابها،
جامعة بنجاب، لاهور، باكستان

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

اسم الكتاب: الأطياف الخمسة

اسم المؤلف: أ. د. مظهر معين

الناشر : قسم اللغة العربية و آدابها،
جامعة بنجاب، لاهور، باكستان

كتابة الكمبيوتر: محمد عقيل عمر

عدد النسخ: 500

الثمن: 200 روبية باكستانية

الطابع: محمد خالد خان، مدير قسم الطباعة والنشر،
مطبعة جامعة بنجاب، لاهور، باكستان

الطبعة الأولى: ربيع الثانى 1430هـ/ أبريل (نيسان) 2009م

البريدالإلكتروني
chairman@arabic.pu.edu.pk

ISBN: 978-969-9325-02-1

كلمة الناشر

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنه يطيب للقسم العربي أن يهدي إلى قراء اللغة العربية ويزودهم بهذا الكتاب المسمى بـ "الأطياف الخمسة" لمؤلفه الفاضل الأستاذ الدكتور مظهر معين، عميد الكلية الشرقية بجامعة بنجاب، وهو من أولئك الأبناء الجادين لهذا القسم وأساتذته الذين عكفوا على دراسة اللغة العربية وتقدموا فيها وارتقوا حتى نالوا قمتها، وخير دليل على براعته وإتقانه لهذه اللغة الشريفة تلك المقالات القيمة والبحوث النادرة الممتازة التي خرجت من ريشة قلمه، ونالت إعجاب القراء وتقديرهم، وإنها إن دلت على شيء فإنما تدل على تمهر صاحبها في اللغة العربية وحبه الشديد لها واهتمامه البالغ الدائم بها.

والجدير بالذكر أن القسم العربي قد قام بنشر كتاب "حاضر اللغة العربية" لهذا المؤلف في الماضي القريب، ونال هذا الكتاب القبول والاستحسان لدى القراء الجادين، وهذا ما شجع القسم على نشر كتابه الثاني الذي هو في متناول أيدينا الآن. وهذا الكتاب "الأطياف الخمسة" يحتوي على خمسة أبواب.

وفي الباب الأول تناول المؤلف موقف الإسلام من الشعر، وأثبت أن الإسلام لايرى حرجاً في قرض الشعر، بل يراه عملاً يسبب لصاحبه أجرًا عند الله، وذلك إذا كان في موضعه، أما الشعر الذي ينهى عنه الإسلام فإنه ذلك الذي يثير الشهوة ويشيع الفاحشة ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس.

وفي الباب الثاني ألقى أستاذنا الضوء على حياة علم من أعلام الإسلام "شمس الدين السخاوي" الذي كان من أبناء القرن التاسع من الهجرة، كما ذكر تلك الخدمات التي أداها السخاوي في مجال التأليف والتصنيف.

أما الباب الثالث فقد تناول فيه المؤلف حياة أحمد بن محمد المقّري، وهو من كبار علماء القرن الحادي عشر، وكتابه المسمى بـ "نفح

الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب" يعتبر موسوعة للمعارف الأندلسية.

وأما الباب الرابع فإنه يجعل العلامة محمد إقبال موضوع بحثه، ويتناول جانباً مهماً من جوانب فنه، ويلقي الضوء على علاقته بالعرب والعروبة.

أما الباب الخامس والأخير، فإنه يتناول حياة البحاثة الشهير ونابغة القرن العشرين الدكتور محمد حميد الله ومؤلفاته.

ولايخفى على قارئ بصير أن هذه الأبواب متنوعة الموضوعات، فإنها في الحقيقة عصارة تلك الجهود الجبارة التي أداها المؤلف في مجال البحث والتحقيق، وعبارة عن مقالات قيمة طبعت في مجلات علمية، وهذا الكتاب يجمعها بين دفتيه.

ولا أريد أن أثقل على القارئ بحديثي الطويل عن هذا الكتاب ومؤلفه، إلا أنه لا يسعني سوى أن أقول إن هذا الكتاب خطوة متقدمة ومحاولة ناجحة لنشر اللغة العربية وآدابها في وطننا الحبيب باكستان، وستليها خطوات وخطوات إن شاء الله ،كما لا أغفل عن أداء واجب الشكر والتقدير إلى كل من أدلى دلوه وساهم بسهمه في إصدار هذا الكتاب، وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور مجاهد كامران، رئيس جامعة بنجاب، الذي حمل على كاهليه مهمة نشر هذين الكتابين المذكورين ومنح مائتي ألف روبية من صندوق الجامعة لهذا المشروع، فجزاه الله عنا خير الجزاء في الدارين.

وفي النهاية أدعو الله سبحانه وتعالى أن يلقى هذا العمل القبول والاستحسان لدى القراء، وأن يجعله، عزّ وجلّ، في ميزان حسنات المؤلف يوم لا ينفع مال ولا بنون، والله من وراء النيات والأعمال، وهو خير معين.

لاهور في:	أ.د. خالقداد ملک
24 ربيع الثاني 1430 هـ	رئيس القسم العربي
21 أبريل 2009م	بجامعة بنجاب

بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم

تصدير

الأستاذ الدكتور ظهور احمد اظهر

الحمد لوليه والصلاة على نبيه وبعد.. فإنه يطيب لى أن أكتب هذه الأسطر العديدة لأصدّر بها كتابا قيّما بلغة الناطقين بالضاد، وقد اطلعت عليه من ألفه إلى يائه فأفادنى بماجاء فيه من المعلومات القيّمة وأعجبت به أيّما إعجاب، ولأعرف بها مؤلّفا باكستانياً بارعاً يكتب ويؤلّف بالعربية منذ أما، غير قريب، وبأسلوب سهل بسيط حيث لا تكلّف فيه ولا غلو، وإنّما هو أسلوب رصين عليه رونق وبهاء مع سهولة ويسر و فيه جمال رغم بساطته، فأمّا الكتاب القيّم الذى قد اطلعت عليه وأردت أن أصدره بهذه الأسطر العديدة فقد سمّاه مؤلّفه العلامة بالأطياف الخمسة وننوى أن نعود بعد لأى إلى هذه (الأطياف الخمسة) لكى نلمّ بها إلماماً ونعرف بها تعريفاً، ولو على وجه الإجمال والاقتضاب، بتوفيق اللّٰه العلىّ القدير.

وأما المؤلّف لذلك الكتاب القيّم، فهو زميلنا الفاضل وصديقنا الباحث الأستاذ الدكتور (مظهر معين) عميد الكلية الشرقية لجامعة بنجاب بلاهور، وهو من أبناء قسمنا العربى للجامعة نفسها قد درس به طالباً ثم درس به مدرساً، وهو من أبرز القائمين بخدمة اللغة العربية وآدابها فى باكستان، والمهتمّين بتقدّمها وازدهارها، والمناضلين لها والذائدين عن حياضها فى هذا البلد الإسلامى العظيم، فقد كرّس الأستاذ المؤلف حياته لخدمتها ووطّن نفسه عليها دارساً ومدرّساً دون سئم وملال، ومعظم كتاباته وجلّ مؤلفاته فيها وعنها، فكأنّ الرجل ليس له همّ غير العربية وليس له شغل شاغل فى غدواته

و روحاته إلاخدمة لغة القرآن الكريم ولغة الرسول العظيم صلّى اللّه عليه وسلّم ولغة الشعب العربى الأبى النبيل.

والأستاذ الدكتور مظهر قد عرفته طالباً حين قرّر فى نفسه أن يتنازل عن مادته الدراسية الهامة من أجل لغة الضاد وحدها، ففضّلها على مادة الاقتصاد، تلك المادة الدراسية التى كانت ولاتزال موضع اهتمام وعناية عندالمثقفين فى البلد، ولا تزال تحتلّ حتى اليوم مكانة مرموقة ليس بين المواد الدراسية الجامعية فحسب بل فى غيرها من مجالات الفوائد المادية فى البنوك والمؤسسات المالية الأخرى على المستويين الوطنى والدولى على السواء، وذلك إن دلّ على شئ فإنما يدلّ على رغبته الملحة فى لغة العروبة وحبّه الشديد لها واهتمامه البالغ الدائم بها، فبينما نرى الناس يزهدون فيها ويرغبون عنها وإنما يميلون إلى ماينفعهم مادياً ويجدى عليهم بمايحتاجون إليه من الوظائف الرسمية والمناصب السياسية أو إلى ما يدر عليهم من الرزق الكريم أومن لقمة العيش كما يقول الناس. أمّا الأستاذ مظهر معين، فلم يعرف عنه أنه قد فكّر فى يوم من الأيام فيما ينفعه فى حياته الدنيا أوفيما يدر عليه شيئًا من الرزق، وإنما ركّز أنظاره وجهوده على لغة القرآن الكريم وقدتحوّل إليها بعد أن نال شهادة الماجستير فى الاقتصاد، ففضل عليها العربية واختارها ليعكف على دراستها ويتقدم فيها ويرتقى حتى ينال قمّتها، ولم يزل يزاولها ويمارسها وحتى بعدالتخرج من الجامعة، وحتى بعد التوظيف فيها محاضراً، فظلّ يقرأ من خير ما وصل إليه من الكتب والمجلات، واستمرّ يتحدّث بها أويكتب حتى أجادها وأتقنها وذلّ صعابها فيها وجاز العقبات التى وقفت فى سبيله متمثلاً وعاملاً بقول القائل الذى يقول:

لأستسهلن الصعب أو أبلغ المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

فذلک هو المؤلف الباکستانی البارع الأستاذ الدکتور مظهر معین وذلک هو هدفه وتلک هی قصته مع العربیة، تلک القصة التی لم تنته بعد فقد بقیت لها فصول وأبواب قد تضاف إلیها فی القادم من الأیام:

فلیس علی اللّٰه بمستنکر　　أن یجمع العالم فی واحد

وقبل أن أنهی حدیثی هذا العذب عن ذلکم الرجل الفاضل والکاتب المتفنّن، أری من المناسب الملائم بل من الواجب اللازم أن أقول مالاحظته فیه غیر مرة، وهو أن المؤلف الفاضل من الرجال الأذکیاء المجتهدین فی أوساطنا التعلیمیه والثقافیه، فهو عالم ذکیّ یشعر بما لا شعربه کل من هبّ ودبّ، وهو یدرک ما لا یستطیع أن یدرکه الإنسان العادی، وهو فی الوقت نفسه، کاتب جاد مجتهد لایکل من العمل الجاد المستمر ولا یتعبه الجهد المؤب والکدّ الدائم، وأنّ الإنسان الذی یجتمع فیه الذکاء والجدّ فبإمکانه أن یطأ الجبال الشامخة بقدمیه، فیعبرها من جانب إلی آخر و یأتی بالعجائب والغرائب من الأعمال الأدبیة وأن یحقق مایرید تحقیقه من الأمجاد الخالدة، وقدیأتی بالمعجزات من الأدب والفن، فقد رأیته، لا بل راقبته، عن کثب و بصفة مستمرة أنه لا یفتأ یقرأ أویکتب، وکلّما رأیته بعد وقت قد مضی علیه فرأیته وقد تحسّنت عربیته وتوقدت قریحته وجادت طبیعته وتجددت، فکأنه کل یوم فی شأن جدید متخلّقاً بأخلاق اللّٰه الخالق المبدع الذی کل یوم هو فی شأن، وخیر دلیل علی ذلک هو الإنتاج الأدبی الواسع والعطاء السخی الطویل فی موضوع واحد، ألا وهی العربیة لغة القرآن المعجز و لغة النبی العربی الذی هو أفصح العرب و أبلغهم، فهو یکتب عن العربیة وبالعربیة ولکن لیس لیکتسب به الدنیا بل یکتب ویؤلف حبّاً للعربیة وإخلاصاً بمهنته التی اختارها راضیاً مرضیاً وإیماناً واحتساباً ویقیناً منه بأنّ جهده هذا الجبار فی دراسته للغة العربیة وإجادته وإتقانه لها لیقرّبه من فهم القرآن الکریم کما

يقرّبه من إخوانه المسلمين في العالمين العربي والإسلامي، فيتمكن من التفاهم والتعاون معهم بالبرّ والتقوى في شتّى المناسبات الحيوية في عصر العولمة بالإضافة إلى مايستفيد مباشرة ودون حواجب وعوائق مما كتب في القديم أو يكتب اليوم في المؤلفات المتنوعة والمجلات أو الجرائد العربية في كل مكان على المستوى الوطني أو الدولي في عصرنا.

وأما الحديث عن هذه الأطياف الخمسة والتقدير لها، فهي ليست بأطياف بعيدة أو أخيلة نائية فحسب وإنما هي وقائع تاريخية ناصعة وحقائق أدبية نادرة ولكنني لا أريد أن أطيل الحديث عنها، فذلك من حق القارئ الكريم ليقرأ فيقدّر، ولا أريد أن أقف في سبيله أو أحول بينه وبين ما أنتجه الدكتور مظهر معين بريشته المبدعة الخلاقة، فهي أطياف نادرة عن موضوعات هامة تخّص كل إنسان يرغب في المعرفة عن هذه الموضوعات الهامة، وأما أنا بدوري فقد استفدت منها كثيراً، ووجدت متعة و سروراً في قرائتي لها، وكذلك أرجو أن ينتفع بها القراء الكرام ويتمتعوا بماجاء فيها من المعلومات الدسمة، وماتحتوى عليه من توجيهات صائبة وآراء قيمة بناءة تفيد طلاب اللغة العربية ودارسيها على اختلاف الأجناس والديار والأعمار، وبالله التوفيق، وهو خير رفيق في الطريق.

أ. د. ظهور أحمد أظهر
عميد كلية الآداب والعلوم
الاجتماعية بجامعة فيصل آباد
وعميد كلية الدراسات الإسلامية
والشرقية بجامعة بنجاب سابقاً

10 ربيع الثاني 1430 هـ
7 أبريل 2009م

كلمة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبي بعده،

وبعد:

فهذا كتاب عربي، يستهدف القارئ العربي بالدرجة الأولى، جنباً إلى جنب مع كل قارئ يعرف العربية، وإن لم يكن من أهلها، كتبه أستاذ باكستاني تربطني به صلات أخوية، أما الكتاب فهو "الأطياف الخمسة"، ويضم مجموعة من الدراسات المتخصصة في الثقافة الإسلامية، ويقصد المؤلف بالأطياف الخمسة المقالات الخمسة التي يضمها الكتاب بين دفتيه وهي:

1- موقف الإسلام من الشعر
2- شمس الدين السخاوي مؤلفاً
3- المقري وكتابه "نفح الطيب"
4- إقبال والعروبة
5- د. محمد حميد الله: سيرته و مؤلفاته

وقد أحسن المؤلف عندما اختار لكتابه هذا الاسم، فموضوعاته بالفعل أطياف تسعد الخاطر، ولا تثقل الكاهل، وهو ما أعتقد أنه سيكون من نصيب القارئ، فهي كلها موضوعات تلقي الضوء على الوجه الحضاري والثقافي للإسلام وأهله، وتبين الإسهامات الجليلة التي قدمها علماء المسلمين ومفكروهم من الناطقين بالعربية ومن غير الناطقين بها إلى الحضارة الإسلامية بخاصة والحضارة الإنسانية بعامة، وتوضح لنا كيف كان أسلافنا موسوعيين في علومهم، ودقيقين في تفكيرهم، وواضحين في نظرتهم، وجادين في أعمالهم.

وأما الأستاذ المؤلف فهو الأستاذ الدكتور مظهر معين، عميد الكلية الشرقية بجامعة بنجاب، تلك الجامعة العريقة التي أتشرف بأنني تعلّمت بها، وعملت بها كذلك، والدكتور مظهر معين من أساتذة اللغة العربية المعروفين في باكستان، ومن المشهود لهم بالحب الشديد للغة العربية والإخلاص لها والاعتزاز بالانتماء إليها، وأكثر من هذا أنه لايزال يرى أن واحداً من الحلول الناجعة للمسلمين عامة هو توحيد اللغة، واتخاذ العربية لغة رسمية مشتركة لدولهم كلغة الدين والأمة، مع الإحتفاظ بغيرها من اللغات الرسمية ، كما أن هذا أيضاً-- في نظر سيادته -- أحد الحلول الفعّالة للتخلّص من العصبية اللغوية السلبية في باكستان، وما يترتّب عليها من نتائج تفرّق ولا تجمّع. وسواء اتفقنا مع الدكتور فيما يراه أم لا ، لكن الواقع يقول إن البداية يمكن أن تكون بالفعل من هنا، من زرع الانتماء لدى المسلمين تجاه دينهم وثقافتهم وحضارتهم، ونشر مبادئ الإسلام في الأخوة والمحبة والمساواة، والطريق بطبيعة الحال طويل، لكن الصبر والمثابرة يقطعان من المسافات مايعجز الخيال عن تصوره.

هذا وسوف يلمس القارئ أثناء مطالعته للكتاب عدة أمور أذكر بعضها هنا، وأترك البعض الآخر لفطنته:

1- اللغة العربية السلسة الواضحة الخالية من العجمة

2- الحب الجارف للغة العربية وآدابها

3- الحب الجارف للإسلام ولغته وحضارته، والاعتزاز التام بالانتماء إلى أمة الإسلام، والحرص على تأكيد الصلاح مع اللغة العربية.

كما سيكتشف القارئ بعد مطالعة الكتاب عدة أمور أذكر بعضها

أيضاً، وأترك الباقي للقارئ نفسه:

1- مدى التراجع الذي أصاب المسلمين عامة، والعرب خاصة، مقارنة بعصور مضت.

2- افتقاد المسلمين لروح المثابرة والإخلاص التي تمتع بها أسلافنا وعلماؤنا الأوائل.

3- مدى التعمية التي نعيشها في عصرنا الحاضر فيما يتعلق بديننا وثقافتنا وحضارتنا، مما أفقد نسبة كبيرة من المسلمين-- حكاماً ومحكومين-- الانتماء الصحيح الصادق للأمة المسلمة، فأصبحوا وقد جعلوا من الغرب إماماً يقتدون به في مساوئه دون محاسنه، لقصور في النظر، وسطحية في التفكير، وجهل بالتاريخ، وكل بسبب التعمية التي أشرنا إليها.

4- مدى التقصير الذي يرتكبه أبناء العربية من العرب تجاه لغتهم وأدبهم، وعدم انتباههم إلى تفلّت اللغة العربية من بين أيديهم، إما بسبب ارتخاء قبضتهم، أو بسبب قسوتهم التي تكاد تخنق اللغة، ولا مفر من أن يتدارك العرب هذا القصور.

5- مدى الجهد الذي يبذله العلماء والأساتذة من غير العرب في خدمة اللغة العربية وآدابها، وبالتبعية في خدمة العرب أنفسهم. والكتاب الذي بين أيدينا دليل نعتز بتقديمه.

6- مدى خطورة الدور الذي يمكن أن تلعبه اللغة العربية وآدابها في توثيق العلاقات بين العالم العربي وغير العرب بصفة عامة، والمسلمين منهم بصفة خاصة.

7- التراث الإسلامي كلّ لا يتجزّأ، وإن بدا في وحدات بلغات

متعددة، ولا مناص من التعرف على هذه الوحدات كلها، لتكوّن رؤية كلية متماسكة مترابطة في ذهن المسلم، ولن يكون هذا إلاّ بدراسة اللغات، والترجمة منها وإليها، فضلاً عن التواصل المباشر، مما يشعر الفرد بقوة ظهره، وصلابة عوده، ويعيد إليه ثقته المفقودة بأمته.

أدعو اللّٰه أن يتقبل من المؤلف عمله هذا، وأن ينفع به القارئ، واللّٰه وليّ التوفيق.

لاهور في:

9 ربيع الثاني 1430هـ

6 أبريل 2009م

أ. د. إبراهيم محمد إبراهيم

جامعة الأزهر، القاهرة

كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
جميع الأنبياء والمرسلين، ولاسيّما خاتم النبيين،
وعلى أزواجه وأولاده وأصحابه أجمعين،
وبعد:

هذه هي مجموعة مقالاتي الّتي طبعت في المجلات المتنوعة، وفي السنين المختلفة. وها أنا أقدّمها الآن في مؤلّف جامع لها بعد أن أصرّ على جمعها كثير من زملائي من أهل العلم والأدب لتسهيل الاستفادة منها، فاقتنعت برأيهم أخيراً وراجعتها بعد حقبة من الزمان، وماتشاؤون إلاّ أن يشاء الله ربّ العالمين.

وهي خمس مقالات تدور حول موقف الإسلام من الشعر، والسخاوي، والمقري، وإقبال والعروبة، والدكتور محمد حميدالله، فلذلك سميّتها بـ "الأطياف الخمسة".

وها أنا أقدّم هذه المقالات إلى القرّاء الكرام معترفاً بقلّة زادي من اللغة والأدب، وبُعد بلادي عن بلدان لغة الضاد. ولكنّها لغتي ولغة بلادي لكونها لغة القرآن والإسلام ولتأثيرها الواسع العميق في لغات باكستان وأبجدياتها. فلابدّ من تعلّمها والكتابة بها رغم العقبات والصعوبات، كما أنّه لابدّ من الترحيب بكلّ من يقرأ هذه المقالات فيقدّرها ويأتي بالانتقادات.

وقبل ختام الكلام أتقدم بالشكر إلى كل من مد إلي يد العون في تأليف هذا الكتاب، وأخص بالذكر فضيلة الدكتور مجاهد كامران، رئيس جامعة بنجاب، الذي تكرم بطبع هذا الكتاب على حساب الجامعة حباً للعروبة والإسلام، وأستاذي الكريم الدكتور ظهور أحمد أظهر، رائد اللغة العربية في باكستان، الذي زين كتابي المتواضع بتصديره، والدكتور إبراهيم محمد إبراهيم، رئيس قسم اللغة الأردية بجامعة الأزهر، الذي قرأ هذا الكتاب كله وقام بتصحيح الأخطاء، كما أنه قدمه بكلمته القيمة، والدكتور محمد سليم عميد كلية العلوم بجامعة بنجاب سابقاً الذي حرضني على تأليف هذا الكتاب، والدكتور محمد سليم مظهر عميد الدراسات الشرقية، والدكتور خالد قداد ملک رئيس القسم العربي وناشر هذا الكتاب، وأساتذة القسم العربي، وخاصة الدكتور الحافظ عبد القدير الذي قرأ بعض البروفات لهذا الكتاب، والأخ محمد عقيل عمر الذى قام بكتابة الكتاب على الحاسوب، كما أشكر السيّد محمد خالد خان صاحب المطبع، وجميع زملائي وأقاربي الذين شجعوني على تأليف هذا الكتاب ودعوا لي بالخير، فلكل منهم جزيل الشكر. ولله الحمد أوّلاً وآخيراً.

مظهر معين
عميد الكلية الشرقية
وأستاذ اللغة العربية
بجامعة بنجاب

لاهور في
6 ربيع الثانى 1430ھ
3 أبريل 2009م

الباب الأول

موقف الإسلام

من الشعر

موقف الإسلام من الشعر

إنتشر الإسلام في العالم العربي قبل أربعة عشر قرناً لما كان الشعر الجاهلي المنظوم باللغة العربية الفصحى يحتلّ مكانة أساسية في حياة العرب الثقافية والاجتماعية. فقال أديب الأندلس و فريد عصره ابن عبد ربه (ت 328هـ) في هذا الصدد:

"كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها، والمقيّد لأيّامها، والشاهد على حكّامها، حتى بلغ من كلف العرب به و تفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد خيّرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة و علّقتها في أستار الكعبة". (1)

"ومن الدليل على عظم قدر الشعر عندالعرب وجليل خطبه في قلوبهم أنه لمّا بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه المحكم تأليفه، وأعجب قريشاً ما سمعوا منه قالوا: ما هذا إلاّ سحر، وقالوا في النبي صلّى الله عليه وسلم: شاعر نتربّص به ريب المنون". (2)

وأشار الإمام السيوطي (ت 911هـ) إلى أهمية الشاعر عند قبائل العرب قائلاً:

"وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر، أتت القبائل

الأخرى فهنّأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأغراضهم وذبّ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة لذكرهم. وكانوا لايهنّئون إلابغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج."(3)

ويبيّن جرجي زيدان مكانة الشاعر العربي في العصر القديم بلسانه الجديد قائلاً:

"وكانوا يتخذون الشعراء واسطة في الاسترضاء أو الاستعطاف، ويجعلونهم وسيلة لإثارة الحروب، فيكون الشاعر لسان حال القبيلة يعبّر عن غرضها وينطق بلسانها شأن الصحف الرسمية اليوم. فإنّ الصحيفة الرسمية إذا قالت قولاً علم الناس أن الحكومة تريده. وهذا هو سبب ماكان يظهر من تأثير الشعر في السياسة. ولذلك فالقبيلة مطالبة برعاية شاعرها والقيام بما يحتاج إليه وإكرامه وتقديمه". (4)

وما أبلغ ما قاله الأستاد أحمد حسن الزيّات في وصف العرب وشعرهم القديم:

"والعرب أشعر الساميين فطرة وأبلغهم على الشعر قدرة لاتساع لغتهم للقول وملاءمة بيئتهم للخيال وصفاء قريحتهم وسلاجة معيشتهم وقوة عصبيتهم وكمال حرّيتهم وخلو جزيرتهم ما يصدّ الفكر عن التأمل ويعوق الذهن عن

التـفـكـر. فهم بين الصحراء والسماء في فضاء من اللانهاية يـملأ الذهن والنفس خيالاً وجلالاً وروعة. وهم فوق ذلك ذوو نفوس شاعرة و طباع ثائرة يستفزّهم الرغب والرهب، ويـزدهيهـم الـطـرب والـغـضب. فلم يتركوا شيئًا يجول في الـنـفـس أو يقع تحت الحس إلاّ نظموه. فكان الشعر ديوان عـلـومهـم وحـكـمهـم وسـجـلّ وقـائعهم وسيرهم وشـاهد صـوابهـم وخطئهم ومادة حوارهم و سمرهم. وكانوا كلّهم يـروونـه وجـلّهـم يقرضونه عفو البديهة وفيض الخاطر حتّى روى عـنهـم مـن الشـعـر الـوجداني مالم يرو عن أمة من أمم الأرض مثـلـه. فـلا بـدع إذا كان الشاعر يغويهم و يرشدهم والبيت الواحد يقيمهم ويقعدهم". (5)

وكـان الشـعـر مـجـالاً فـريداً ظهرت فيه فضيلة العربي قبل ا لإسلام، فوجدت ألطف مواهبه مظهراً في حقل الشعر. وكان حبّ البدوي للشعر يعتبر تراثاً ثقافياً له. و إليک النص الإنـجليزي من قول المؤرخ الشهير فيليب ک. حتّي بهذا المعنى:

"It was only in the field of poetical expression that the pre-Islamic Arabian excelled. Herein his finest talents found a field. The bedouin's love for poetry was his one cultural asset".(6)

ويـعتبـر الشعراء المسلمون من المتقدّمين والمتأخرين والموجودين اليوم منظومات العرب القديمة من النماذج الشعرية التي لايمكن الوصول إلى قمة مجدها كما قال فيليب حتّي:

"The early muslim poets as well as the later and present day versifiers regarded and still do regard the ancient productions as models of unapproachable excellence".(7)

ويـدلّ جـميع هذه الأقوال والبيانات الصادرة من أفواه وأقلام الأدباء والـمؤرخيـن البـارزين من العرب والمستشرقين على عظمة الشعر والشعراء عـنـد عرب الجاهلية. فلمّا أنزل سبحانه وتعالى قرآنه العظيم على نبيّه الأمين، عـليـه الصلاة والتسليم، بلسان عربي مبين، دهشت العرب و تحيّروا وعجزوا من أن يأتوا بكلام من مثله. فقال سبحانه تعالي تحدّياً لهم:

"وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله وادعوا شهدائكم من دون اللّه إن كنتم صادقين.
فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة أعدّت للكافرين.(8)

ولـم يكـن الـقـرآن مـعـجـزاً لـلشعراء فقط، بل كان معجزاً للخطباء والـمتـرسّـلين وغيـرهـم مـن الماهرين في اللغة والأدب أجمعين. فقال الإمام جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) موضحاً إعجاز القرآن العظيم:

"فـكـمـا أن الـقـرآن أعـجز الشعراء وليس بشعر، كذلك أعـجـز الـخطباء وليس بخطبة، والمترسّلين وليس بترسّل. وإعـجـازه الشعراء أشدّ برهاناً. ألا ترى العرب كيف نسبوا الـنبـي صـلـى اللّـه عـليـه وسـلم إلى الشعر لمّا غلبوا وتبين عـجـزهـم فـقـالوا: هو شاعر، لما في قلوبهم من هيبة الشعر وعـجـامتـه وأنه يقع منه مالا يلحق، والمنثور ليس كذلك.

فمن هنا قال تعالى: وما علّمناه الشعر و ما ينبغي له. أي لتقوم عليكم الحجّة ويصحّ قبلكم الدليل." (9)

ثم كان الحديث النبوي معجزاً لأهل اللغة والشعر والأدب بعد القرآن العظيم. فلم يقدروا على أن يأتوا بكلام من مثله لغة و أدباً و أسلوباً وتأثيراً. وما أحسن ما قاله الجاحظ (ت 255هـ) مبيّناً مميّزات الحديث النبوي ومعبّراً عن مشاعر الناطقين بلغة الضاد والعارفين بها في كل زمان و مكان:

هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة ونزّه عن التكلف، وكان كما قال اللّه تبارك وتعالى: قل يامحمد، وما أنا من المتكلّفين.

فكيف وقد عاب التشديق و جانب أصحاب التقعير، واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي. فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيّد بالتائيد، ويسّر بالتوفيق.

وهذا الكلام الذي ألقى اللّه المحبة عليه، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولازلّت له قدم، ولا بارّت له حجّة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبدّ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجّ إلا بالصدق ولا يطلب

الفلح إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر. ثم لم يسمع الناس بكلام قطّ أعمّ نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً". (10)

ويدل ذلك كلّه على أن القرآن الكريم قد فاق الشعر الجاهلي لغة وأدباً وأسلوباً وتأثيراً. وأعجز الشعراء والخطباء والمترسلين إعجازاً لم يستطيعوا بعده أن يأتوا بسورة من مثله أوبآية. ثم كان الحديث النبوي نوعاً من الكلام الفريد نادر المثال عند الناطقين بلغة الضاد، فاحتلّ مكانة ثانية بعد القرآن وقبل الشعر في تراث اللغة العربية وآدابها.

فلمّا انتشرت الكتابة و دوّنت العلوم واقتضت الحاجات الشرعية والعامة استخدام النثر على نطاق واسع، ازداد النثر أهمية بمرور الزمن. فألّفت مئات الآلاف من الكتب العربية بعد جمع القرآن وتدوين الحديث بمرّالعصور وكرّالدهور. ووصلت العلوم والمعارف العربية المتنوعة إلى قمة مجدها قبل انتهاء العصر الذهبي العباسي في عام 656 هـ.

وبقي الشعر العربي مهماً و مرغوباً عند العرب عبر العصور. ولكنه لم يستطع أن يحتلّ مكانة أولى في المجتمع العربي الإسلامي، بل كان غلبه القرآن أولاً والحديث ثانياً والكلام المنثور ثالثاً. ولا يعني ذلك كلّه أن الشعر صار متروكاً أو مكروهاً عند دعاة الإسلام وأبناء الإيمان. بل كان

محور الحياة الأدبية مع النشر العربي في الخلافتين الأموية والعباسية (41-132-656هـ) وقبلهما وبعدهما.

"فعن عمر رضي اللّٰه تعالى عنه أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: مُرمَن قِبَلك بتعلّم الشعر فإنه يدلّ على معاني الأخلاق وصواب الرأى و معرفة الأنساب. (11)

وقال عمر بن الخطاب أمير المؤمنينؓ:

الشعر جذل من كلام العرب يسكن به الغيظ، و تطفأ به النائرة، ويبلغ به القوم في ناديهم ويعطي به السائل. (12)

"وعن علي كرّم اللّٰه تعالى وجهه: الشعر ميزان القول. (13)

فقال ابن عباسؓ:

الشعر علم العرب و ديوانها فتعلموه، وعليكم بشعر الحجاز. (14)

وقال ابن عباس رضي اللّٰه عنهما:

إذا قرأتم شيئًا من كتاب اللّٰه فلم تعرفوه، فاطلبوه في أشعار العرب، فإنّ الشعر ديوان العرب. (15)

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه عن الشعر العربي:

"أفضل صناعات العرب الأبيات من الشعر يقدّمها في حاجاته ليستعطف بها الكريم و يستميل بها قلب اللئيم. (16)

وما أحسن قول إمام الأمة عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه في أهمية الشعر الخالدة كما روي:

"دخل (بعض ولد) هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له: من أنت؟ قال: أنا (ابن) هرم بن سنان. قال: أصاحب زهير؟ قال: نعم. قال: أما إنه كان يقول فيكم فيحسن. قال: كذلك، كنا نعطيه فنجزل، قال: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم. (17)

"وكان شعراء النبي صلى الله عليه وسلم: حسان وكعب بن مالك و عبدالله بن رواحة". (18)

وقال سعيد بن المسيّب:

كان أبوبكر شاعراً و عمر شاعراً وعلي أشعر الثلاثة. (19)

وقال مقداد بن الأسود:

ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها. (20)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومافي الأنصار بيت إلاّ وهو يقول الشعر. قيل: وأنت أبا حمزة؟ قال: وأنا أيضاً. (21)

"ومن شعراء التابعين: عبيدالله بن عتبة بن مسعود، وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة. وله قال سعيد بن المسيّب: أنت الفقيه الشاعر. (22)

"ومن شعراء التابعين: عروة بن أذينة، وكان من ثقات أصحاب
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عنه مالك.
ومن شعراء الفقهاء المبرزين عبدالله بن المبارك صاحب
"الرقاق". (23)

هذه نبذة من الأقوال المرويّة عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين في إثبات الشعر والشعراء و مكانتهما في مجتمعات العرب والمسلمين بعد سيطرة الإسلام على القلوب والأذهان أولاً والأمصار والبلدان ثانياً. فلم يكن الإسلام عدواً للشعر والأدب، بل كان صديقاً ناشراً للغة العربية وآدابها في مشارق الأرض ومغاربها. وصرّح ذلك الدكتور اسرائيل ولفنسون أستاذ اللغات السامية بالجامعات المصرية قائلاً:

"إن الانقلاب العظيم الذي أصاب اللغة العربية إنما حدث
عقب ظهور الإسلام. فقد انقلبت إلى لغة عالمية تتكلّم بها
شعوب كثيرة جداً. فقد نزح عرب الحضر والبادية من
أطراف الجزيرة تحت قيادة أبطال المسلمين إلى جميع
نواحي المعمورة وفتحوا الممالك والأمصار باسم الدين
الحنيف في زمن وجيز، وكانت اللغة العربية تسايرهم
خطوة خطوة في جميع البلاد التي انتشروا فيها وبسطوا
سلطانهم عليها". (24)

وقال الدكتور إسرائيل أيضاً:

"وأثر القرآن أثره الشديد في جميع اللهجات العربية في
جميع أنحاء الجزيرة، فقد بدأت تتبلبل وتضطرب

وتنجذب بقوة إلى لغة القرآن حتى اندمجت كلّها في لهجته التي هي لهجة الحجاز كما كان ينطقها خاصة أهل مكة. (25)

وأضف إلى ذلك ما قاله الدكتور إبراهيم أنيس معبّراً عن آراء الأدباء والباحثين في مكانة اللغة العربية الأدبية قبيل البعثة النبوية وبعيدها:

"لما جاء الإسلام كانت اللغة العربية مزدهرة مكتملة النمو تنتظم كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتصطنع في آداب يعتزبها أهلها، ويتنافسون في إتقانها وإجادتها.

وكانت هذه اللغة بمثابة لغة مشتركة بين العرب جميعاً يتخذونها أداة التعبير عن آدابهم، ويعتزون بها كل الاعتزاز، ولهذا نزل القرآن الكريم بها، فلم تكن لغة قريش وحدها، أو لغة مكة وحدها، بل كانت اللغة المشتركة للعرب جميعاً غير أن نزول القرآن بها زادها ازدهاراً فوق ازدهار، وثبت أركانها ودعائمها. (26)

هذا كلّه من ناحية، ومن ناحية أخرى، نجد سبحانه وتعالى قائلاً في تعظيم رسوله صلّى الله عليه وسلّم: وما علّمناه الشعر وما ينبغي له. (27)

ويعني ذلك أن مقام الرسالة المحمدية أعظم وأجلّ من مقام الشعراء أجمعين. ولا يليق بخاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم أن يكون شاعراً مقدّماً كلاماً منظوماً مثل الآخرين. (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى). (28)

وذمّ سبحانه وتعالى أصحاب الشعر ذمّاً شديداً في آخر سورة الشعراء، ثم استثنى منهم المئومنين الصالحين. فلا بدّ من دراسة هذه الآيات وفحواها

والرجوع إلى تراث الحديث النبوي بعدها، حتى نصل إلى نتيجة عادلة واضحة مبنية على تعاليم القرآن والسنة، وإن كانت الأقوال المروية عن الصحابةؓ والتابعين في الشعر والشعراء كافية للإشارة إلى إباحة الشعر الجيّد الحسن الغير القبيح في كل عصر من العصور ودهر من الدهور، فقال جلّ ذكره:

والشعراء يتبّعهم الغاؤن. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون.
وأنهم يقولون مالا يفعلون. إلاّ الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا
وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون. (29)

فسّر الإمام أبو محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي (ت 516ھ) هذه الآيات بالأقوال والآثار تفسيراً مبيناً. فقال في تفسيره "معالم التنزيل":

"قوله عزوجل: (والشعراء يتبعهم الغاؤن).
قال أهل التفسير: أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون
رسول الله صلي الله عليه وسلم. وذكر مقاتل أسمائهم فقال:
ومنهم عبدالله بن الزبعري السهمي وهبيرة بن أبي وهب
المخزومي و مشافع بن عبد مناف و أبو عزة عمرو بن
عبدالله الجمحي وأمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلّموا
بالكذب على رسول الله صلي عليه وسلم و بالباطل وقالوا:
نحن نقول مثل ما يقول محمد. وقالوا الشعر، واجتمع إليهم
غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي صلى
الله عليه وسلم وأصحابه، يروون هجاء النبي صلى الله عليه
وسلم والمسلمين.

وقال قتادة ومجاهد: الغاوون هم الشياطين.

وقال الضحاك: تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، ومع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء. فنزلت هذه الآية. وهي رواية عطية عن ابن عباس.

(ألم تر أنهم في كل واد) من أودية الكلام، (يهيمون) حائرون وعن طريق الحق جائرون. والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية:

في كل لغو يخوضون.

وقال مجاهد: في كل فن يفتنون.

وقال قتادة: يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل، فالوادي مثل لفنون الكلام كما يقال: أنا في واد وأنت في واد.

وقيل: في كل واد يهيمون. أي على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافي.

(وأنهم يقولون مالا يفعلون):

أي يكذبون في شعرهم، يقولون: فعلنا وفعلنا، وهم كذبة". (30)

"ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية و يهجون الكفار وينا فحون عن النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه. منهم حسّان بن ثابت و عبدالله بن رواحة و كعب بن مالك، فقال:

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات). (31)

وأورد البغوي بعض الأحاديث النبوية في شرح هذه الآيات، فروى:

"عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء و ابن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله

اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

خلّ عنه ياعمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل". (32)

"(وذكروا الله كثيراً): أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله.

(وانتصروا من بعد ما ظلموا):

قال مقاتل: انتصروا من المشركين لأنهم بدأوا بالهجاء". (33)

وقال العلامة محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) صاحب "الكشّاف" في شرح هذه الآيات:

"(والشعراء) مبتدأ. و (يتّبعهم الغاوون) خبره. ومعناه أنه لا يتّبعهم على باطلهم وكذبهم و فضولهم وما هم عليه من الهجاء و تمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسب بالحرم والغزل والابتهار و مدح من لا يستحق المدح، ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون

والسفهاء الشطار.

وقيل: الغاوون الراوون. وقيل: الشياطين.

وقيل هم شعراء قريش: عبدالله بن زبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي و مسافع بن عبد مناف و أبو عزة الجمحي، ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت. قالوا: نحن نقول مثل قول محمد. وكانوا يهجونه، ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم". (34)

"(ألم تر أنهم في كل واد يهميون).

ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لمذاهبهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضّلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحّهم على حاتم، وأن يبهتوا البريء ويفسّقوا التقي". (35)

"(إلا الذين آمنوا... ينقلبون).

استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله و تلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة و مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطّخون فيها بذنب ولا يتلبّسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم". (36)

وقال القاضي ناصرالدين عبدالله بن عمر البيضاوي (ت 685هـ) في تفسيره شارحاً هذه الآيات:

"(والشعراء يتّبعهم الغاوون): وأتباع محمد ليسوا كذلك. وهو استئناف أبطل كونه عليه الصلاة والسلام شاعراً، وقرّره بقوله: (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون)

لأن أكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها، وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار و تمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقة والإطراء فيه. وإليه أشار بقوله:

(وأنهم يقولون مالا يفعلون): وكأنه لمّا كان إعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى، وقدحوا في المعنى بأنه مما تنزّلت به الشياطين، وفي اللفظ بأنّه من جنس كلام الشعراء، تكلم في القسمين و بين منافاة القرآن لهما، ومضادة حال الرسول صلى الله عليه وسلم لحال أربابهما". (37)

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا

الله كثيراً و انتصروا من بعد ماظلموا):

إستثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحثّ على طاعته، ولو قالوا هجواً أرادوا به الانتصار ممن هجاهم و مكافحة هجاة المسلمين، كعبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين. وكان عليه الصلاة والسلام

يقول لحسّان: قل و روح القدس معک.

وعن كعب بن مالک أنه عليه الصلاة و السلام قال له:

أهجهم فو الذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النبل. (38)

وقال الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ) في "تفسير القرآن العظيم" شارحاً هذه الآيات بأقوال الصحابة و التابعين رضوان الله عليهم أجمعين:

"وقوله تعالى: والشعراء يتبعهم الغاؤن. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني الكفار يتّبعهم ضلال الإنس و الجن. وكذا قال مجاهد رحمه الله و عبدالرحمن بن زيد بن أسلم و غيرهما. وقال عكرمة: كان الشاعران يتهاجيان فينتصر هذا فئام من الناس، ولهذا فئام الناس، فأنزل الله تعالىٰ: والشعراء يتبّعهم الغاؤن.

"وقوله تعالى: ألم ترأنهم في كل واد يهيمون.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: في كل لغو يخوضون.

وقال الضحاک عن ابن عباس: في كل فن من الكلام.

وكذا قال مجاهد وغيره.

وقال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهم الّتي يخوضون فيها مرّة في شتيمة فلان، و مرّة في مديحة فلان.

وقال قتادة: الشاعر يمدح قوماً بباطل ويذمّ قوماً بباطل.

وقوله تعالى: وأنهم يقولون مالا يفعلون.

قال العوفي عن ابن عباس: كان رجلان على عهد رسول

الـلّه، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، تهاجيا، فكـان مـع كـل واحـد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فـقـال اللّه تعالى:والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم ترأنهم في كل واد يهيمون.

وأنهم يقولون مالا يفعلون.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أكثر قولهم يكذبون فيه.

وهـذا الـذي قـالـه ابـن عبـاس رضي اللّه عنه هو الواقع في نـفـس الأمـر فـان الشـعـراء يتبـجّحون بأقوال أو أفعال لم تـصـدر مـنهـم ولا عـنهـم. فيتكثّرون بما ليس لهم. ولهذا اختـلف الـعـلـمـاء رحمهم اللّه فيما إذا اعترف الشاعر في شـعـره مـايوجب حدّاً، هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا؟ لأنهم يقولون ما لايفعلون". (39)

"وقوله: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...

قـال مـحـمـد بـن إسـحـاق عن يزيد بن عبداللّه بن قسيـط عـن أبـي الـحسن سالم البراد بن عبداللّه مولى تميم الـداري قـال: لـمّـا نـزلـت (والشـعراء يتبعهم الغاوون) جاء حسـان بـن ثـابت وعبداللّه بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسـول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وهم يبكون. قالوا: قد علم الـلّه حين أنزل هذه الآية أنّا شعراء. فتلا النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال: أنتم.

(وذكروا اللّه كثيراً) قال: أنتم.

(وانتصروا من بعد ماظلموا) قال: أنتم.

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن اسحاق.

وقوله تعالى: (وانتصروا من بعد ما ظلموا).

قال ابن عباس: يردّون على الكفّار الذين كانوا يهجون به المؤمنين.

وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد.

وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسّان: أهجهم، أو قال: هاجهم وجبريل معك.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله عزوجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه. والذي نفسي بيده لكأنّ ما ترمونهم به نضح النبل". (40)

ونجد في تفسير الإمامين الجلالين المحلّي (ت 864هـ) والسيوطي (ت 911هـ) بياناً موجزاً جامعاً في شرح هذه الآيات:

"والشعراء يتبعهم الغاوون) في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون. (ألم تر) تعلم (أنهم في كل واد) من أودية الكلام وفنونه

(يهيمون) يمضون فيجاوزون الحد مدحاً وهجاءً

(وأنهم يقولون) فعلنا (مالا يفعلون) يكذبون

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الشعراء

(وذكروا الله كثيراً) لم يشغلهم الشعر عن الذكر

(وانتصروا) بهجوهم الكفار "من بعد ما ظلموا) بهجو الكفار

في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين. قال الله تعالى:

(لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم). وقال تعالى:

(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم).

(وسيعلم الذين ظلموا) من الشعراء وغيرهم.

(أيّ منقلب) مرجع (ينقلبون) يرجعون بعد الموت". (41)

وهناك كثير من الأحاديث النبوية الواردة في الشعر والشعراء

ننقل بعضها لشرح موقف الإسلام من الشعر والشعراء:

1- عن أبي كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن من الشعر حكمة. (متفق عليه). (42)

2- عن صخر بن عبدالله بن بريدة عن أبيه عن جده قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

إن من البيان سحراً، وإن من العلم جهلاً،

وإن من الشعر حكماً، وإن من القول عيالاً...

رواه أبو داؤد. (43)

3- عن عائشة قالت: ذكر عند رسول الله صلى الله عليه

وسلم الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

هو كلام فحسنه حسن و قبيحه قبيح.

رواه الدار قطني وروى الشافعي عن عروة مرسلاً. (44)

4- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:
ألا كل شيء ما خلا الله باطل. (متفق عليه). (45)

وما كان ينبغي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الشعر ولكن نجده عليه السلام متحدّثاً بالكلمات الموزونة في حديثه. وكذلك استحسن كثيراً من الأبيات استحساناً.

5- حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس،
سمعت جندباً يقول: بينما النبي صلى الله عليه وسلم
يمشي إذ أصابه حجر فعثر فدميت إصبعه فقال:
هـل أنـت إلا إصبـع دميـت.
و في سبيـل الـلّـه مالقيت. (46)

6- وعن جندب أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم كان في
بعض المشاهد وقد دميت إصبعه فقال:
هـل أنـت إلا إصبـع دميـت
وفـي سبيـل الـلّـه مـالقيت. (متفق عليه). (47)

7- وعن أنس قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون
الخندق وينقلون التراب وهم يقولون:
نـحن الـذين بـا يعـوا مـحـمـداً
عـلـى الـجهـاد مـا بـقينـا أبـداً
يقول النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يجيبهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة

فاغفر الأنصار والمهاجرة. (متفق عليه). (48)

8- وعن البراء قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدّقنا ولا صلّينا

فانزلن سكينة علينا

وثبّت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد بغوا علينا

إذا ارادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته: أبينا أبينا. (متفق عليه). (49)

9- عن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلاً. فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ قال: وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدوا بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدّقنا ولا صلّينا

فاغفر فداء لك ما اقتفينا

وثبّت الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينة علينا

إنـــا إذا صيـــح بـــنـــا أتيـنـــا

وبـــالـصيـــاح عـوّلوا عـلينـا

فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: من هذا السائق؟

قالوا: عامر بن الأكوع. فقال: يرحمه اللّٰه. (50)

10- عـن عـمـرو بـن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول اللّٰـه صلّى اللّٰه عليه وسلّم يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم. قال: هيه. فأنشدته بيتاً. فقال: هيه. ثم أنشدته بيتاً. فقال: هيه... حتّى أنشدته مائة بيت. (51)

هذه أحاديث و روايات إيجابية في حق الشعر والشعراء. ومن ناحية أخرى روي بعض الأحاديث النبوية في ذم الشعر والشعراء أيضاً. فيجب أن نعرفها حتى نصل إلى نتيجة صحيحة بالنسبة لموقف الإسلام من الشعر و الشعراء:

1- عن ابن عمر رضى اللّٰه عنهما عن النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم قال: لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتليء شعراً. (52)

2- عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم: لأن يمتليء جوف رجل قيحاً يريه خير من أن يمتليء شعراً. (53)

3- عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم: لأن يمتلئ جوف الرجل قيحاً يريه خير من أن يمتليء شعراً. (54)

4- عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن نسير مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: خذوا الشيطان، أو أمسكوا الشيطان. لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً. (55)

وشرح الإمام شرف الدين النووي (ت 676هـ) شارح "صحيح مسلم" هذا الحديث المروي عن طرق مختلفة شرحاً وافياً جامعاً يبين الصواب ويزيل الشبهات:

"قال أبو عبيد والعلماء كافة: الصواب أن المراد أن يكون الشعر غالباً عليه مستولياً عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر اللّٰه تعالى. وهذا مذموم من أيّ شعر كان. فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضرّ حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئًا شعراً. واللّٰه أعلم.

واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقاً، قليله وكثيره وإن كان لا فحش فيه، وتعلّق بقوله صلى اللّٰه عليه وسلم: "خذوا الشيطان".

وقال العلماء كافة: هو مباح مالم يكن فيه فحش ونحوه.

قالوا: وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، وهذا هو الصواب. فقد سمع النبي صلى اللّٰه عليه وسلم الشعر واستنشده. وأمر به حسّان في هجاء المشركين، وأنشده

أصحابه بحضرته في الأسفار وغيرها. وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف. ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه. وإنما أنكروا المذموم منه، وهو الفحش ونحوه.

وأما تسمية هذا الرجل الذي سمعه ينشد شيطاناً فلعلّه كان كافراً أو كان الشعر هو الغالب عليه، أو كان شعره هذا من المذموم. وبالجملة فتسميته شيطاناً إنما هو قضية عين تتطرّق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها، ولا عموم لها، فلا يحتجّ بها. والله أعلم". (56)

وأضف إلى هذا البيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أستقبل بالمدينة بالأبيات التالية أنشدتها بنات الأنصار مرحّبات بالنبي الأمين عليه الصلاة والتسليم:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع. (57)

ثم كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا أهدر دم كعب بن زهير لأبياته الهجائية ضد الإسلام و نبي الإسلام، جاء إلى المدينة فتاب وأسلم وأنشده عليه السلام قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيّم إثرها لم يفد مكبول

"ثم خرج من هذا إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فكساه برداً اشتراه منه معاويةُ بعشرين ألفاً". (58)

ويـدلّ ذلک أيـضـاً عـلـى أن الـنبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم رضي بقول كـعب في مدحه عليه السلام، ثم أعطاه بردته المباركة جائزة له. فكيف يمكن أن ننكر الشعر والشعراء مطلقاً نظراً إلى بعض الأحاديث المروية في ذم الشعر والشـعـراء، وقـد شـرحهـا الـعـلـماء والمحدّثون شرحاً وافياً كما مررنا بشرح الإمام النووي لها آنفاً. وللّٰه درّالشارح رحمه اللّٰه.

ونـنـقـل الآن بـعـض الأبيات التي نظمها الصحابة و أهل البيت رضى اللّٰه عنهم، تائيداً لإباحة الشعر في الإسلام. فقال حسّان في مدح الرسول عليه السلام:

وأحسن منک لم ترقطّ عيني
وأجمل منک لم تلد النساء
خـلـقـت مبـرّأ من كـل عيـب
كـأنک قـد خـلـقـت كما تشاء. (59)

2- وقال ثاني اثنين أمير المؤمنين أبوبكر رضي اللّٰه عنه:

أمـن طيف سـلـمٰى بـالبطـاح الدمـائث
أرقـت وأمـر فـي العشيـرة حـادث
تـرى مـن لـؤي فـرقة لا يـصـدّهـا
عـن الـكـفـر تـذكيـر ولا بعث بـاعـث
رسـول أتـاهـم صـادق فتـكـذّبـوا
عـليـه وقـالـوا لست فينا بـماكث
ولـمـا دعـونـاهـم إلـى الـحق أدبـروا
وهـروا هـريـر الـمحجرات اللواهث
فـكـم قـد مثـلـنـا فيهـم بـقـرابة

وتـرک التـقـی شیٔ لهـم غیـر کـارث
فإن یـرجعـوا عـن کـفـرهـم وعقوقهم
فـمـا طیبـات الـحـل مثل الـخبـائث
وإن یـرکبـوا طـغیـانهـم وضـلالهـم
فـلیـس عـذاب اللّٰـه عـنهـم بـلابـث. (60)

3- وقـال عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه یرثی رسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه وسلّم:

لـعـمـري لقـد أیـقـنـت أنک میّـت
ولـکـنـما أبـدی الـذی قـلتـه الـجـزع
وقـلـت یـغیـب الـوحـی عـنـا لـفـقـده
کـمـا غـاب مـوسـی ثـم یـرجع کما رجع
وکـان هـوای أن تـطـول حیـاتـه
ولیـس لـحـیّ فـی بـقـا مـیّـت طمع
فـلـمّـا کشـفـنـا الـبـرد عـن حـر وجهـه
إذا الأمـر بـالـجـزع المـرعـب قد وقع
فـلـم تک لـی عـنـد الـمـصیبة حیـلة
أردّ بهـا أهـل الشـمـاتة والـقـذع
سـوی آذن الـلّٰـه الـذی فـی کتـابـه
ومـا آذن الـلّٰـه الـعبـاد بـه یـقع
وقـلـت مـن بـعـد الـمـقـالة قولة
لهـا فـی حـلـوق الشـامتین بـه بشع

ألا إنـمـا كـان الـنبـي مـحـمـد
إلـى أجـل وافى بـه الوقت فانقطع
نـديـن عـلـى الـعـلات منّـا بـديـنـه
ونـعـطي الـذى أعـطـى ونـمـنع مـا منع
ووليـت مـحـزونـاً بـعين سخينة
أكـفكف دمعي والفؤاد قد انصدع
وقـلـت لـعيـني كـل دمع ذخـرتـه
فـجـودي بـه إن الشجـى لـه دفع (61)

"ومن شعر عمر رضي اللّٰه عنه وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة:

تـوعـدنـي كـعـب ثـلاثـاً يعدّهـا
ولا شك أن الـقـول مـا قـالـه كعب
ومـا بـي خـوف الـموت إنّى لـميّت
ولـكـن خـوف الـذنـب يتبعهـا الذنب (62)

4- "ومن شعر عثمان رضي اللّٰه تعالىٰ عنه:

غـنـى الـنـفـس يـغـنـي النفس حتّى يكفّها
وإن عـضّهـا حتـى يـضـربهـا الـفـقـر". (63)

5- "ومن قول عليّ كرّم اللّٰه وجهه بصفّين:

لـمـن راية سـوداء يـخـفـق ظـلهـا
إذا قيـل قـدّمهـا حـصيـن تـقـدّمـا

فيـوردهـا فـي الصف حتـى يـردّهـا
حيـاض المنـايـا تـقـطـر السمّ والدمـا
جـزى اللّٰـه عـنـي والـجزاء يكـفـه
ربيـعة خيـر إمـا أعفّ وأكـرمـاً. (64)

6- وقال حسان في مدح عائشة أم المومنين، رضي اللّٰه عنهما، بعد حادثة إفك:

حـصـان رزان مـا تـزّن بـريبة
وتـصبـح غـرثـى من لـحوم الغـوافـل
حـليـلة خيـر النـاس دينـاً و منـصبـاً
نبـيّ الهـدىٰ والمكـرمات الـفواضـل (65)

ومن شعر فاطمة رضي اللّٰه عنها قالته يوم وفاة أبيها عليه الصلاة والسلام:

مـاذا عـلـى مـن شـمّ تـربة أحـمـد
أن لا يشـمّ مـدى الـزمـان غـواليـا
صبّـت عـلـيّ مـصـائـب لـو أنهـا
صبّـت عـلـىٰ الأيـام صـرن لـيـاليـاً (66)

"ومن شعر ابنه الحسن رضي اللّٰه تعالى عنهما وقد خرج على أصحابه مختضباً:

نسـوّد أعـلاهـا وتـابـى أصـولهـا
فـليـت الـذى يسـوّد منهـا هو الأصل" (67)

9- "ومن شعر العباس رضي اللّٰه تعالى عنه يوم حنين يفتخر بثبوته مع رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم:

ألا هل أتى عرسي مكرّي و موقفي
بوادي حنين والأسنّة تشرع
وقولي إذا ما النفس جاشت لها قرى
وهام تهدى والسواعد تقطع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة
بزوراء تعطي باليدين وتمنع
نصرنا رسول اللّٰه في الحرب سبعة
وقد فرّمن قد فرّعنه فأقشعوا... (68)

10- وقال ابن عباس رضى اللّٰه عنهما لمّا كفّ بصره:

إن ياخذ اللّٰه من عينيّ نورهما
ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكيّ وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارم كالسيف مشهور (69)

ملخص البحث

ونلخص الآن مما تقدم من البحث والتحليل في النقاط الآتية:

1- لما جاء الإسلام كانت اللغة العربية مزدهرة مكتملة النمو تنتظم كلّ أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتصطنع في آداب يعتزبها أهلها، ويتنافسون في إتقانها و إجادتها.

وكانت هذه اللغة بمثابة لغة مشتركة بين العرب جميعاً يتخذونها أداة التعبير عن آدابهم، ويعتزّون بها كل الاعتزاز. ولهذا نزل القرآن الكريم بها. فلم تكن لغة قريش وحدها، أو لغة مكة وحدها، بل كانت اللغة المشتركة للعرب جميعاً، غير أن نزول القرآن بها زادها ازدهاراً فوق ازدهار وثبت

أركانها ودعائمها. فانقلبت في زمن وجيز إلى لغة عالمية منتشرة بعلومها وآدابها في مشارق الأرض و مغاربها.

2- وكان الشعر الجاهلي منظوماً باللغة العربية الفصحى التي كانت بمثابة لغة أدبية مشتركة بين جميع قبائل العرب المنتشرة في الأماكن الدانية والقاصية من المدن والقرى والبادية والصحراء، والناطقة باللهجات القومية والمحلّية المتنوعة. فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم وسجل وقائعهم وسيرهم و شاهد صوابهم وخطئهم ومادة حوارهم و سمرهم.

3- وكان اللّٰه سبحانه تعالى لم ينزل القرآن شعراً ولم يجعل رسوله شاعراً . وكان مقام النبوة والرسالة أجلّ وأعظم من أن يكون صاحبها شاعراً. ولكن القرآن الكريم وكلام النبيّ الأمين قد أعجزا الشعراء والخطباء والمترسلين، لغة وأدباً و أسلوباً. فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة أو آية أو كلام من مثلهما. واعترفوا بفضل القرآن والحديث على الشعر والنثر العربيين لغة وأدباً وأسلوباً. فانحطّ الشعر من مكانته الأولى إلى الدرجة الثالثة بعد القرآن والحديث. ثم اقتضت الحاجات العلمية والدينية والرسمية والشعبية استخدام الكلام المنثور على نطاق واسع لتدوين و كتابة العلوم والمعارف. فألّفت مئات الآلاف من الكتب العربية في العلوم الشرعية والآداب اللغوية والمعارف المتنوعة بمر العصور وكرّ الدهور. فصارت المنظومات العربية والدواوين الشعرية جزواً صغيراً من تراث العلوم والآداب العربية بمرور الزمن كمّاً لا كيفاً. ولا يعني ذلك أن الشعر أصبح أقلّ شأناً من النثر العربي، بل كان ولا يزال يحتلّ مكانة أساسية هامة بين اللغة والأدب جنباً إلى جنب مع النثر العربي أو قبله في كثير من الأحيان، من بداية الإسلام إلى العصر الحديث.

4- إنّ ذمّ القرآن والحديث للشعر والشعراء لا يعني تحريم الشعر مطلقاً. و ذمّ الشعراء لأنهم يهيمون في كل واد من أودية الكلام، ويتّبعهم الغاوون، ولأنهم يقولون مالا يفعلون، فيفسدون المجتمع ويروجون الكذب والمبالغة والتملّق والهجاء، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا اللّٰه كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

5- والشعر صنف من أصناف الكلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح لا فرق في ذلک بين الشاعر المسلم والكافر. فاستحسن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم أبيات أمية بن أبي الصلت وغيره من الشعراء. وردّد عليه السلام كثيراً من أبيات الشعراء. ثم أمر حسان بن ثابت بهجو الكفار. وأحبّ حسّان و كعب بن مالک و عبداللّٰه بن رواحة، رضى اللّٰه عنهم، مع غيرهم من الشعراء الصالحين. وأعطى كعب بن زهير بردته جائزة لقصيدته في مدحه عليه السلام. وكذلک أنشدت بنات الأنصار أبيات الترحيب إكراماً له لمّا هاجر إلى المدينة.

6- وكان أبوبكر و عمر و عثمان و علي والحسن و معاوية رضي اللّٰه عنهم ينظمون الأبيات ويعرفون الشعر معرفة تامّة. وهم أمراء المؤمنين و أئمة المتقين و خلفاء النبي الأمين عليه الصلاة والتسليم.

وكانت عائشة أم المؤمنين من أعلم الناس بشعر، كما كانت الخنساء أعظم شواعر العرب. ونظمت أروى بنت عبدالمطلب القوا في كما كانت فاطمة الزهراء و سكينة بنت الحسين تقولان الشعر. وكذلک كان عباس بن عبدالمطلب وعبداللّٰه بن عباس والحسن والحسين ينظمون الأبيات والقصائد. وقس على ذلک جميع أهل بيت النبي الأمين صلّى اللّٰه عليه وسلّم من أزواجه أمهات المؤمنين و أولاده الطيبين وكذلک الأنصار

والمهاجرين وأصحابه أجمعين، فكانوا، رضي الله عنهم، ينظمون الشعر ويحفظونه ويروونه وينتقدونه، أو كانوا يعرفونه معرفة جيدة ويقدّرونه تقديراً ويقيمون له وزناً كبيراً.

وكان حسّان بن ثابت وكعب بن مالك و عبدالله بن رواحة من شعراء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، واشتهر كعب بن زهير بقصيدته اللامية في مدحه عليه السلام، وكذلك نجد كثيراً من التابعين والصالحين بعدهم يقولون الشعر وينظمون الأبيات في كل عصر و مصر خدمة للدين والأدب. والأمر ماض إلى يوم الدين.

فلا بأس بنظم الشعر وإنشاده و حفظه و روايته إن كان كلاماً حسناً غير قبيح جيداً. ولم يكن غالباً عليه إلى حد يسدّه من الواجبات الدينية والتكاليف الشرعية وغيرها من الأمور الهامة المفضولة على الشعر مطلقاً. ويصير الشعر قليله وكثيره محبوباً مفضولاً على النثر إذا كان الشاعر اتخذه وسيلة لنشر الدين والدفاع عنه و وقفه لخدمة الإسلام والإنسان، كما فعل العلامة محمد إقبال (ت 1938م) و أمثاله من المتقدّمين و المتأخّرين.

وما أحسن ما قاله الإمام شرف الدين النووي شارح "صحيح مسلم" في شرح الحديث المروي في أبيات أمية بن أبي الصلت. وهو ملخص الكلام في موقف الإسلام من الشعر والشعراء:

> "ومقصود الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم استحسن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من إقرار الوحدانية والبعث، ففيه جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه و سماعه سواء شعر الجاهلية وغيرهم، وأن المذموم من الشعر الذي لا فحش فيه إنما هو الإكثار منه وكونه غالباً على الإنسان. فأما يسيره فلا بأس بإنشاده وسماعه و حفظه". (70)

الهوامش

1- ابن عبدربه: العقد الفريد، مصر، المطبعة الجمالية، 1331هـ المجلد الثالث، ص 379.

2- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، فضائل الشعر، ص 381.

3- السيوطي: المزهر، مصر، المكتبة الأزهرية، 1325هـ الجزء الثاني، ص 293.

4- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1967م، الجزء الأول، ص 87.

5- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1955م، ص 29-30.

6- Philip K. Hitti: History of the Arabs, London, Macmillan, 1956, p.92.

7- Philip. K. Hitti: History of the Arabs, p.92.

8- القرآن (البقرة: 23-24)

9- السيوطي: المزهر، مصر، المكتبة الأزهرية، 1325هـ، الجزء الثاني، ص 293.

10- الجاحظ: البيان والتبيين، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1345هـ، الجزء الثاني، ص 28-29.

11- الآلوسي: روح المعاني، مصر، إدارة الطباعة المنيرية، 1353هـ ج 19، ص 150.

12- ابن عبدربه: العقد الفريد، مصر، المطبعة الجمالية، 1331هـ، المجلد الثالث، ص 386 .

13- الآلوسي: روح المعاني، ج 19، ص 150.

14- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، ص 386.

15- الآلوسي: روح المعاني، ج 19، ص 150.

16- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، ص 382.

17- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، ص 394

(ويبدو أنه كان ابن هرم، لأن هرماً لم يكن حيًا حينئذ في أغلب الظن).

18- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، ص 388.

19- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، ص 388.

20- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، ص 382.

21- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، ص 388.

22- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، ص 389.

23- ابن عبدربه: العقد الفريد، المجلد الثالث، ص 390.

24- د. إسرائيل و لفنسون: تاريخ اللغات السامية، مصر، مطبعة الإعتماد، 1929م، ص 214-215.

25- إسرائيل و لفنسون: تاريخ اللغات السامية، ص 215.

26- د. إبراهيم أنيس. اللغة العربية بين القومية والعالمية،
مصر، دار المعارف، 1970م، ص 275-276.

27- القرآن (يس: 69).

28- القرآن (النجم: 3-4).

29- القرآن (الشعراء: 224-227).

30- البغوي: معالم التنزيل، مصر، المنار، 1347ه، الجزء السادس، ص 251.

31- البغوي: معالم التنزيل، ج6، ص 252.

32- البغوي: معالم التنزيل، ج6، ص 253.

33- البغوي: معالم التنزيل، ج6، ص 257.

34- الزمخشري: الكشاف، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1365ه،
الجزء الثالث، ص 343-344.

35- الزمخشري: الكشاف، الجزء الثالث، ص 344.

36- الزمخشري: الكشاف، الجزء الثالث، ص 344-345.

37- البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التاويل، مصر،
مصطفى البابي الحلبي، 1388ه الجزء الثاني، ص 169.

38- تفسير البيضاوي، الجزء الثاني، ص 169.

39- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مصر، المنار، 1347ه،

الجزء السادس، ص 253-254.

40- تفسير ابن كثير، ج 6، ص 255-257.

41- جلال الدين المحلي والسيوطي: تفسير الجلالين، دمشق، مكتبة الملاح، 1383هـ، ص 498-499.

42- الخطيب التبريزي: مشكوٰة المصابيح، كتاب الآداب، باب البيان والشعر، ج 2، ص 412، وصحيح البخاري، الجزء الثامن، ص 34، مصر، بولاق، 1315هـ.

43- الخطيب، التبريزي: مشكوة المصابيح (كتاب الآداب، باب البيان والشعر) المكتبة الرحمانية، لاهور، المجلد الثاني، ص 416.

44- الخطيب التبريزي: مشكوة المصابيح (كتاب الآداب، باب البيان والشعر) ج 2، ص 416.

45- الخطيب التبريزي: مشكوة المصابيح (كتاب الآداب، باب البيان والشعر) ج 2، ص 412.

46- البخاري: الجامع الصحيح، مصر، بولاق، 1315هـ، ج 8، ص 35.

47- الخطيب التبريزي: مشكوة المصابيح (كتاب الآداب، باب البيان والشعر) ج 2، ص 412-413.

48- الخطيب التبريزي: مشكوة المصابيح، (كتاب الآداب، باب البيان والشعر) ج 2، ص 413-414.

49- الخطيب التبريزي: مشكوة المصابيح (كتاب الآداب، باب البيان والشعر) ج 2، ص 413.

50- البخاري: الجامع الصحيح، مصر، بولاق، 1315ه، الجزء الثامن، ص 35.

51- مسلم: الجامع الصحيح، مصر، المطبعة الكسنلية 1283ه،
الجزء الخامس، ص 72-73.

52- البخاري: الجامع الصحيح، الجزء الثامن، ص 36-37.

53- البخاري: الجامع الصحيح، ج 8، ص 37.

54- مسلم: الجامع الصحيح، ج 5، ص 73.

55- مسلم: الجامع الصحيح، ج 5، ص 74.

56- شرف الدين النووي: المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج، مصر،
المطبعة الكسنلية، 1283ه الجزء الخامس، ص 74.

57- ابن كثير: السيرة النبوية (تحقيق مصطفى عبدالواحد) برواية البيهقي،
دار احياء التراث العربي، بيروت الجزء الثاني، ص 269-270.

58- ابن عبدربه: العقد الفريد، الجزء الثالث، ص 391.

59- حسان بن ثابت: ديوان حسان، (ضبط و تصحيح: عبدالرحمن البرقوقي)
دار الأندلس، بيروت 1386ه / 1966م، ص 66.

60- الآلوسي: روح المعاني، ج 19، ص 148.

61- السهيلي: الروض الأنف، مصر، المطبعة الجمالية، 1914م / 1332ه،
الجزء الثاني، ص 376-377.

62- الآلوسي: روح المعاني، ج 19، ص 148.

63- الآلوسي: روح المعاني، ج 19، ص 149.

64- ابن عبدربه: العقد الفريد، ج 3، ص 388.

65- حسّان بن ثابت: ديوان حسان (ضبط و تصحيح: عبدالرحمن البرقوقي) دار الأندلس، بيروت، 1966م، ص 380.

66- الآلوسي: روح المعاني، ج 19، ص 149.

67- الآلوسي: روح المعاني، ج 19، ص 149.

68- الآلوسي: روح المعاني، ج 19، ص 149-150.

69- ابن عبدربه: العقد الفريد، ج 3، ص 390.

70- شرف الدين النووي: المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج، مصر، المطبعة الكستلية، 1283هـ، الجزء الخامس، ص 73-74.

الباب الثانى

شـمـس الـديـن

السخاوى مؤلّفاً

شمس الدين السخاوي مؤلّفاً

كـان شـمس الدين محمد بن عبدالرحمان السخاوي (831-902هـ) تـلميذاً خاصاً لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ). وكان محدثاً عظيماً و فقيهاً شـافـعياً ومؤرخاً فريداً، اشتهر بمؤلفاته الكثيرة المتنوعة فى مجالات مختلفة. وإذا درسنا مؤلفاته، أمكن لنا أن نعرف مكانته و مميّزاته كمؤلف. ونستطيع أن نستخلص من دراسة مؤلفاته النقاط الآتية:

1- إن السـخاوي هو صاحب تصانيف كثيرة. وقد صنّف زهاء مئتى كتاب. (1) بـل يـخبرنا كحّالة مشيراً إلى "فهرس الفهارس" للكتاني أن لـه تصانيف تنوف على أربعمائة". (2) وعلى كل حال لايقلّ عدد تـصـانيـفـه عـن مئتي كتاب تقريباً. لأنه أثبت أسماء مائة و تسعين من كتبه ضمن ترجمته في "الضوء اللامع". (3)

وأضاف جرجي زيدان ثلاثة كتب إلى ذلك وهي:

1- "طبقات الشافعية"

2- الكوكب المضئ

3- الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة. (4)

ولـه كتـاب آخـر ذكـره الـزركـلـي. وهـو "التـحفة المنيفة في أخبار المدينة الشريفة" (5)، كما طبع كتاب آخر على هامش "نفح الطيب" للمقري

بعناية "المطبعة الأزهرية" سنة 1302 هـ، وهو "تحفة الأحباب و بغية الطلاب في الخطط والمزارات". (6)

2- قضى السخاوي معظم حياته ولاسيّما العقدين الأخيرين منها مصنّفاً ومخرّجاً. فشرع في التصنيف والتخريج قبل الخمسين (7) أو قبيل ذلك وهلمّ جرّا. (8) وما زال مشتغلاً بالتصنيف والتخريج حتى توفّي عام 902 هـ بالمدينة المنورة لمّا بلغ من عمره اثنين و سبعين عاماً. فاشتغاله بالتصنيف والتخريج أكثر من عشرين عاماً أكبر دليل على اعتنائه بالعلوم والفنون و تقييدهما بالكتابة.

3- ومن مميّزاته كمؤلف تنوّع المواضيع التي ألّف فيها كتبه. فله مؤلفات في الحديث والسيرة والفقه والتاريخ وغيره. وكلّها نادرة عجيبة. وأشار الأستاذ المعروف عبدالقيوم رحمه الله إلى تنوّع مؤلفاته قائلاً:

"أما دائرة تصانيف السخاوي فهي واسعة جداً. وقلمه سريع الكتابة في مجال العلم والفن. فيبلغ عدد مؤلفاته في علوم الحديث والمسائل والسيرة والتاريخ إلى تسعين كتاباً". (9)

وقال أيضاً:

"إذا ألقينا نظرة عابرة على مؤلفات السخاوي، أدركنا أنه رجل رفيع المنزلة يصل بعلمه إلى مجالات متنوعة. وتشير العلوم التي ألّف فيها إلى سعة معرفته. فنرى مثلاً أن كتابه "الإعلان بالتوبيخ" كتاب موجز لكنه يحتوى على ذخر

نـافـع عـظيـم فـي فن كتابة التاريخ و السيرة. ويشتمل كتابه "التـذكرة" على عدّة أجـزاء. و "التـاريـخ المحيط" كتاب ضخم في عدة مجلدات.

وقـدّم معـلـومـات تـاريخية ثمينة في ذيوله على "سلوك" الـمقـريـزي و "دول الإسـلام" لـلذهبي. كما جمع وفيات الـقـرنيـن الثامـن و التـاسـع الهـجريين في مجلدات كثيرة. وجـمـع فيهـا تـراجـم مـعـاصـريه مفصلاً، ثم جمع في كتابه "الـضوء اللامع" تراجم كبار القرن التاسع و آثارهم العلمية مع دراستهم النقدية و اهتم بصيانتها إلى الأبد". (10)

4- أمـا مـكـانتـه كمؤلف في علوم الحديث و الفقه، فكفى بالذكر ما قـالـه ابـن الـعـمـاد فـي كتـابـه الـمسمّى بفتح المغيث بشرح ألفية الحديث:

"ولا يعلم أجمع منه ولا أكثر تحقيقاً لمن تدبّره". (11)

وقـال أيـضـاً ذاكراً كتابه "المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة":

"هـو أجـمـع و أتـقن من كتاب السيوطي المسمى بالجواهر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة". (12)

و أضف إلـى ذلك "الـقـول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع" الـذي هو نادر المثال في بابه. و كذلك " إرتيـا ح الأكباد بأرباح فقد الأولاد" الذي لامثيل له في تسلية الفؤاد.

5- ويشهـد بـفـضـل السخاوي كمؤرخ كتابه البسيط "الضوء اللامع

لأهـل الـقـرن التـاسع" الذي جمع فيه تراجم أكثر من عشرة آلاف من أعـلام الـقـرن الناسع رجالاً ونساء. ويعتبر هذا الكتاب موسوعة علمية ودينية و ثقافيه و سياسية و تأريخية فيما يتعلق بالقرن التاسع الهجري.

قال الحاجي خليفة في تأليفه الشهير "كشف الظنون":

"هو تاريخ كبير في مجلدات". (13)

و أبدى جرجي زيدان رأيه قائلاً:

"إن الكتاب نادر المثال في بابه". (14)

وقد قال الشوكاني قبلهما وما أحسن ما قال فيه:

"لولم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلاّ

"الضوء اللامع" لكان أعظم دليل على إمامته". (15)

وقد اهتم بذكره المستشرق الشهير جب مع ذكر "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني قائلاً:

"For the next century as-Sakhawi produced a twelve volume dictionary the twelfth volume of which is devoted to women". (16)

"وقـدّم الـسـخاوي معجماً للقرن الثامن في اثني عشر مجلداً

والجزء الثاني عشر منه مخصوص للنساء.

ونكتفي بإيراد هـذه الأقـوال للإشارة إلى أهمية السخاوي كمصنف ومكانة مؤلفاته في التاريخ الإسلامي.

6- وإذا نظرنا إلى كتابه "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" وجدناه كتـاباً هـامـاً فـي الـنقد التاريخي. و وجدنا مؤلّفه ناقداً عظيماً. وإذا اعتبـرنا ابن خلدون مؤسس النقد التاريخي نظراً إلى مقدمة تاريخه،

فلا بدلنا من الاعتراف بأن السخاوي يليه كثانيه بالنظر إلى كتابه ''الإعلان بالتوبيخ''.

وقد اعتنى المستشرق الشهير فرانز روزنثال بهذا الكتاب الفريد وقدّمه مع تعليقات علمية و مقدمة مفصّلة. (17) واشتهر السخاوي في الغرب بسبب هذا الكتاب و تعليقات روز نثال عليه. و دهش المستشرقون بدراسة هذا الكتاب المؤلّف في النقد التاريخي قبل خمسة قرون. و أشار روز نثال أيضاً إلى مقام السخاوي كمؤرّخ ناقد لمّا قام بترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الانجليزية. فمدح أولاً ابن خلدون كمؤرخ ناقد و مفكر عظيم و أشار إلى عدم اعتناء معاصريه بآرائه التاريخية، ثم قال:

"But his labors had considerable influence upon the first generation of his pupils including such men as al-Maqrizi and Ibn-Hajar, and through them in turn upon such pupils of their as as-Sakhawi."(18)

(ولكن تأثر بمساعيه الجيل الأول من تلامذته إلى حد كبير. ومنهم المقريزى و ابن حجر. ثمّ تأثرّ به تلامذتهم عن طريقهم مثل السخاوي.

وقال الأستاذ الشهير أحمد تيمور باشا واصفاً ''الإعلان بالتوبيخ'':

''يعتبر هذا الكتاب كتاريخ التاريخ في الاسلام''. (19)

7- اشتهر السخاوي كمؤلف عظيم في حياته و اعترف بعظمة مؤلفاته علماء عصره و مشايخ مصره.

''وقرض أشياء من تصانيفه غير واحد من أئمة المذهب كالحافظ ابن حجر والجلال المحلي والعلم البلقيني و الشرف المناوي والتقي الحصني و العيني والكافياجى. وتناقلها الناس

إلـى كثير من البلدان و القرىٰ. وكتب الأكابر بعضها بخطوطهم حتى قال بعضهم: إن لم تكن التصانيف هكذا فلا". (20)

8- ومـن مـميّـزات السـخـاوي كمؤلف معرفته المبنية على سعة الخيال وكثرة الأسـفـار وتـجارب الحياة، فقد قضى معظم حياته مسافراً إلى البلاد الـمجاورة والـنـائية طـلبـاً لـلعلم والدين. فجال في بلاد الشام والـحـجـاز و مـصـر وغيـرهـا مـن البـلاد والأمصار. وأقام بالحرمين الشـريـفيـن مـراراً. فأمكن له الاتصال المباشر بالعلماء وطلاّب العلم الـوافـديـن إلـى الحرمين الشريفين من جميع أنحاء العالم الإسلامي. وتـأثّـر ذهـنـه و تـفـكيـره و أسـلـوبـه بهـذه الروابط العلمية والأسفار الـمتكرّرة. وأضـاف كـل ذلك إلـى مهـارتـه فـي الـعلوم وإتقانه في الكتابات وقدرته على التصنيف والتأليف. ولذلك أشار الزركلي إلىٰ أسفاره و تصانيفه معاً:

"سـا ح فـي البـلدان سياحة طويلة و صنف زهاء مئتى كتاب". (21)

و أشـار العيدروسي إلى إقـامتـه الـطـويلة بالحرمين الشريفين و أهمية إقامته هناك قائلاً:

"وحـمل الناس من أهلهما والقادمين عنه الكثير جداً (رواية و دراية) وحـصـلـوا مـن تـصانيفه مع ملازمة الناس في منزله الـقراء ة (دراية و رواية) فـى تـصـانيـفـه وغيرها بحيث ختم عليه مايفوق الوصف من ذلك". (22)

9- ولا نـجـد فـي كتابات السخاوى تعصباً دينياً أو إقليماً أو شخصياً

إلا في ذكره لجلال الدين السيوطي الشافعي الذي كان معاصراً و مخالفاً له. فكان السيوطى ذمّ السخاوي فردّ السخاوي عليه. ولا يتردّد أحدهما في ذمّ صاحبه. ومع ذلك ذكر السخاوي جلال الدين السيوطي في "الضوء اللامع" مفصّلاً، ولو أفرط في بعض كلامه. وكذلك ذمّه السيوطي ذاكراً كتابه الفريد "الضوء اللامع" فقال:

"ثم أكّب على التاريخ فأفنى فيه عمره و أغرق فيه عمله وسلق فيه أعراض الناس وملأه بمساوي الخلق". (23)

فلا عبرة بذلك، كما قال جرجي زيدان، فإنّ الكتاب نادر المثال في بابه. (24)

وذكر السخاوي الشافعي جميع الرجال من أساتذته وعلماء عصره بكل إجلال و إكرام معترفاً بخدماتهم العلمية والدينية. ومنهم الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والفقيه والمحدث. حتى لم يجرؤ على تسمية شيخه العظيم ابن حجر في كتاباته تعظيماً له. فقال في "الضوء اللامع":

"وكل ما أطلقت فيه "شيخنا" فمرادي به ابن حجر أستاذنا". (25)

وكذلك ذكر في تاريخه أبناء البلدان المختلفة ولم يتعصب لمصري أو لغيره. فنجد من المذكورين في تاريخه مصرياً و شامياً و حجازياً وفارسياً و هندياً وغيرهم مع الاعتراف بمحاسن جميعهم. وذكر أيضاً بعض المعاصرين المشهورين من أهل الذمة وغير المسلمين واعترف بخدماتهم الجليلة في مجالات الحياة المختلفة. وأشار السخاوي إلى ذلك في بداية تاريخه قائلاً:

"هذا كتاب من أهم ما به يعتني جمعت فيه من علمته من

أهل هذا القرن الذي أولّه سنة إحدى و ثمانمائة، ختم بالحسنى، من سائر العلماء و القضاة و الصلحاء و الرواة والأدباء و الشعراء و الخلفاء و الملوك و الأمراء و المباشرين و الوزراء مصرياً كان أو شامياً، حجازياً كان أويمنياً، رومياً أو هندياً، مشرقياً أو مغربياً، بل و ذكرت فيه بعض المذكورين بفضل و نحوه من أهل الذمة". (26)

10- ومما يدلّ على تفرّده كمؤلف أنه خصّص جزءاً كاملاً من "الضوء اللامع" لذكر النساء الفاضلات. وسمّاه "معجم النساء". وهو الجزء الثاني عشر والأخير من تاريخه. فجمع فيه تراجم المئات من النساء الشهيرات بالعلوم و الفنون من أهل القرن التاسع.

ويدلّ ذلك على مكانة المرأة الرفيعة في المجتمع الإسلامي واشتغالها بالعلوم و الفنون و الأمور الاجتماعية مع الاحتفاظ بسترها و حجابها قبل خمسة قرون. وهذا دليل كاف على الانقلاب الذى أحدثه الإسلام فى حياة المرأة المظلومة و لاسيّما في العالمين العربي و الأفريقي و البلدان الشرقية و الإسلامية كلّها. كما يدلّ ذلك على مراعاة حقوق النساء في الشرق الإسلامى قبل عدة قرون. فلذلك يعدّ السخاوي مؤلفاً فريداً مراعياً لحقوق النساء في كتاباته. و ردّ فعلاً على من زعم أنه لم تكن للمرأة مكانة سامية في مجتمعات القرون الماضية و أنّ حركة حقوق المرأة هى حركة غربية حديثة.

11- ومن خصائص السخاوي كمؤلف مراعاة المحاسن الأدبية في كتاباته. فله مهارة تامة في اللغة و الأدب تظهر في مؤلفاته التي تمتاز بفصاحة اللفظ و بلاغة الأداء و متانة التركيب و حسن التشبيه و غير ذلك مع الايجاز

والإطناب في مواضعهما و تجنب الكلمات الغريبة والأعجمية والعامية في ذلك العصر المتأخر بعد زوال العباسيين وسقوط بغداد هم.

ويتأثر بلغته الفصحى وأسلوبه الرائع كل من يقرأ تصانيفه المختلفة في المواضيع المتنوّعة. فكتبه قيّمة فريدة من ناحية اللغة والأدب أيضاً. ويؤيّد ذلك ما قاله ابن العماد فيها:

"و ألّف كتباً إليها النهاية لمزيد علوه و فصاحته". (27)

وكذلك قال العيد روسي:

"وتصانيفه إليها النهاية فى الشهادة له لمزيد علوه وفخره". (28)

12- ونعرف من دراسة مؤلفات السخاوي أنه كان شاعراً و جامعاً لشعر غيره في مؤلفاته. فنقل كثيراً من أبياته وأبيات غيره في "الضوء اللامع" ضمن ترجمته وغيره. ولا نجد كثيراً من هذا التراث الشعري لقرنه في غير تصانيفه. فلذلك يمتاز السخاوي بنظم الشعر و حفظه و روايته بين أقرانه. ويمكن ترتيب ديوان شعري لشعراء القرن التاسع بعد الاستفادة من مؤلفات السخاوي ولاسيّما تاريخه "الضوء اللامع".

ولنلقى نظرة عابرة على أسماء كتبه قبل ختام البحث للاهتداء إلى مكانته كمؤلّف، فهي كالتالى:

1- العقد الثمين في مشيخة خطيب المسلمين
2- الفتح القربى في مشيخة الشهاب العقبى
3- تخريج مشيخة التقي الشمني في كبرىٰ
4- تخريج مشيخة التقي الشمني في صغرىٰ

5- الأربعين لزوجة شيخه ابن حجر العسقلانى

6- الأربعين للكمال بن الهمّام

7- الأربعين للأمين الاقصرائى

8- الأربعين للتقي القلقشندي المقدسى

9- الأربعين للبدر بن شيخه

10- الأربعين للشرف المناوى

11- الأربعين للمحب ابن الأشقر

12- الأربعين لابن الشحنة

13- الأربعين للزين بن مزهر

14- مائة حديث عن مائة شيخ للعلم البلقينى

15- أحاديث مسلسلات

16- الفهرست للاقصرائى

17- الفهرست لابن يعقوب

18- الفهرست للمحب القمنى

19- الفهرست للمحب الفاقوسى

20- الفهرست للعلم البلقينى

21- الفهرست للمناوى

22- الفهرست للشمس القرافى

23- الفهرست لابنة الهورينى

24- الفهرست لهاجر القدسية

25- الفهرست للفخر الإسيوطى

26- الفهرست للملتوتى

27- الفهرست للحسام بن حريز

28- الفهرست لابن إمام الكاملية

29- الفهرست للعبادى

30- الفهرست لزكريا

31- الفهرست لابن مزهر

32- المعجم لحفيد يوسف العجمى

33- المعجم لتغري بردي القادرى

34- المعجم لابن السيد عفيف الدين

35- المعجم للشمس الامشاطى

36- الأحاديث المتباينة المتون والأسانيد

37- الأحاديث البلدانيات

38- الجواهر المكلّلة فى الأخبار المسلسلة

39- بغية الراوي بمن أخذ عنه السخاوى

40- فهرست مرويّات السخاوى

41- عشاريات الشيوخ مع ما وقع له من العشاريات

42- الرحلة الإسكندرية و تراجمها

43- الرحلة الحلبية مع تراجمها

44- الرحلة المكية

45- الثبت المصرى

46- التذكرة

47- تخريج أربعي النووى

48- تكملة تخريج الشيخ ابن حجر للأذكار المسمّى القول البار

49- تخريج أحاديث العادلين لأبى نعيم

50- تخريج أربعى الصوفية للسلمى

51- تخريج الغنية المنسوبة للشيخ عبدالقادر المسمى البغية

52- تخريج طرق "إن اللّٰه لا يقبض العلم انتزاعا"

53- التحفة المنيفة فيما وقع له من حديث الإمام أبى حنيفة

54- الأمالي المطلقة

55- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث

56- توضيح فتح المغيث بشرح ألفية الحديث

57- الغاية فى شرح منظومة ابن الجزرى الهداية

58- الإيضاح فى شرح نظم العراقي للاقتراح

59- النكت على الألفية و شرحها

60- شرح التقريب للنووي

61- بلوغ الأمل بتلخيص كتاب الدارقطني فى العلل

62- تكملة تلخيص الشيخ ابن حجر للمتفق و المفترق

63- تكملة شرح الترمذي للعراقي

64- حاشية فى أماكن من شرح البخاري لشيخه وغيره من تصانيفه

65- شرح الشمائل النبوية للترمذي المسمّى أقرب الوسائل

66- القول المفيد في إيضاح شرح العقدة لابن دقيق العيد

67- شرح ألفية السيرة للعراقي

68- الجمع بين شرحى الألفية لابن المصنف وابن عقيل و توضيحها

69- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريخ

70- التبر المسبوک فى الذيل على تاريخ المقريزي السلوک

71- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

72- الذيل على قضاة مصر لشيخه ابن حجر المسمّى الذيل المتناه

73- الذيل على طبقات القراء لابن الجزري

74- الذيل على دول الإسلام للذهبي

75- الشافى من الألم في وفيات الأمم

76- معجم من أخذ عنه

77- التحصيل والبيان في قصة السيد سلمان

78- المنهل العذب الروي فى ترجمة قطب الاولياء النووي

79- الاهتمام بترجمة النحوي الجمال بن هشام

80- القول المبين فى ترجمة القاضي عضدالدين

81- الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر

82- الاهتمام بترجمة الكمال بن الهمّام

83- ترجمة شمس الدين السخاوي

84- المفرد لمن أثنى على السخاوي

85- تاريخ المدينتين

86- التاريخ المحيط

87- تجريد حواشي الشيخ ابن حجر على الطبقات الوسطىٰ لابن السبكي

88- تقفيص قطعة من طبقات الحنفية

89- طبقات المالكية

90- ترتيب طبقات المالكية لابن فرحون

91- تجريد ما في المدارك للقاضي عياض مما لم يذكره ابن فرحون

92- تقفيص ما اشتمل عليه الشفا من الرجال و نحوهم

93- القول المنبّى في ترجمة ابن عربي

94- الكفاية في طريق الهداية

95- تجريد أسماء الآخذين عن ابن عربي

96- أحسن المساعي في إيضاح حوادث البقاعي

97- الفرجة بكائنة الكاملية التي ليس فيها للمعارض حجّة

98- دفع التلبيس و رفع التجنيس عن الذيل الطاهر النفيس

99- تلخيص تاريخ اليمن

100- طبقات القراء لابن الجزري

101- منتقى تاريخ مكة للفاسي

102- عمدة الأصحاب في معرفة الألقاب

103- ترتيب شيوخ الطبراني

104- ترتيب شيوخ أبي اليمن الكندي

105- ترتيب شيوخ جماعة من شيوخ الشيوخ و نحوهم

106- عمدة القارى والسامع في ختم الصحيح الجامع

107- غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج

108- بذل المجهود في ختم السنن لأبي داؤد

109- اللفظ النافع في ختم كتاب الترمذي الجامع

110- القول المعتبر في ختم النسائي رواية ابن الأحمر

111- بغية الراغب المتمني في ختم سنن النسائي رواية ابن السني

112- عجالة الضرورة والحاجة عند ختم السنن لابن ماجة

113- القول المرتقي في ختم دلائل النبوة للبيهقي

114- الانتهاض في ختم الشفا لعياض

115- الرياض في ختم الشفا لعياض

116- الإلمام في ختم السيرة النبوية لابن هشام

117- دفع الإلباس في ختم سيرة ابن سيدالناس

118- الجوهرة المزهرة في ختم التذكرة

119- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم

120- الفوائد الجليلة في الأسماء النبوية

121- الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته

122- موالي النبي صلى الله عليه وسلم

123- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة

124- الابتهاج بأذكار المسافر الحاج

125- القول النافع في بيان المساجد والجوامع

(وربما سمّى تحريک الغني الواجد لبناء الجوامع والمساجد)

126- الاحتفال بجمع أولى الظلال

127- الإيضاح والتبيين في مسئلة التلقين

128- إرتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد

129- قرة العين بالثواب الحاصل للميّت و للأبوين

130- البستان في مسئلة الاختتان

131- القول التام في فضل الرمي بالسهام

132- إستجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم و ذوي الشرف

133- عمدة الناس أو الايناس بمناقب العباس

134- الفخر العلوي في المولد النبوي

135- عمدة المحتنج في حكم الشطرنج

136- إلتماس السعد في الوفاء بالوعد

137- الأصل الأصيل في تحريم النقل عن التوراة و الإنجيل

138- القول المألوف في الرد على منكر المعروف

139- الأحاديث الصالحة في المصافحة

140- القول الأتم في الاسم الأعظم

141- السر المكتوم في الفرق بين المالين المحمود و المذموم

142- القول المعهود فيما على أهل الذمة من العهود

143- الكلام على حديث الخاتم

144- الكلام على قصّ الظفر

145- الكلام على الميزان

146- القناعة مما تحسن الإحاطة به من أشراط الساعة

147- تحرير المقال في الكلام على كل أمر ذي بال

148- القول المتين في تحسين الظن بالمخلوقين

149- الكلام على قول لاتكن حلوياً فتشترط

150- الكلام على قول كل الصيد في جوف الفرا

151- الكلام على حديث إنّ الله يكره الحبر السمين

152- الكلام على حديث المنبت لا أرضاً قطع و ظهراً أبقى

153- الكلام على حديث تنزّل الرحمات على البيت المعظّم

154- الإيضاح المرشد من الغيّ في الكلام على حديث
(حُبّب من دُنيا كم إليّ)

155- المستجاب دعاؤهم

156- تجديد الذكر في سجود الشكر

157- نظم اللال في حديث الابدال

158- انتقاد مدّعي الاجتهاد

159- الأسئلة الدمياطية

160- الاتعاظ بالجواب عن مسائل بعض الوغاظ

161- تحرير الجواب عن مسئلة ضرب المدواب

162- الامتنان بالحرس من دفع الافتتان بالفرس

163- المقاصد المباركة في إيضاح الفرق الهالكة
(بل استقراسمه، دفع القلق والأرق بجمع المبتدعين من الفرق)

164- بذل الهمة في أحاديث الرحمة

165- السير القوي في الطب النبوى

166- رفع الشكوك في مفاخر الملوك

167- الإيثار بنبذة من حقوق الجار

168- الكنز المدّخر في فتاوى الشيخ ابن حجر

169- الرأي المصيب في المرور على الترغيب

170- الحث على تعلّم النحو

171- الأجوبة العلمية عن المسائل النثرية

172- الاحتفال بالأجوبة عن مائة سؤال

173- التوجه للرب بدعوات الكرب

174- ما في البخاري من الأذكار

175- الإرشاد والموعظة لزاعم رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة

176- جامع الأمهات والمسانيد

177- جمع الكتب الستّة بتمييز أسانيدها وألفاظها

178- ترتيب فوائد تمام

179- ترتيب الحنائيات

180- ترتيب الخلعيات

181- ترتيب مسند الحميدي

182- ترتيب مسند الطيالسي

183- ترتيب مسند العدني

184- ترتيب مسند أبي يعلي

185- تطريف مشيخة الزين المراغي

186- عدة أجزاء على المسانيد

187- ترتيب الغيلانيات

188- ترتيب فوائد تمام (على الأبواب)

189- تجريد ما وقع في كتب الرجال سيّما المختصة

بالضعفاء من الأحاديث و ترتيبها على المسانيد (29)

190- الكوكب المضئ (تراجم العلماء المعاصرين)

191- الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة (في الأدب)

192- طبقات الشافعية (30)

193- تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات (31)

194- التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة (32)

ملخص البحث

وخلاصة القول في مكانة السخاوي كمؤلف إنه كان من أبرز المؤلفين لقرنه. وقد ألّف زهاء مئتي كتاب في الحديث والفقه والسيرة والتاريخ وغيرها. فهو مؤلف جامع و محدث شهير وفقيه مجتهد و مؤرخ ناقد. وهو أديب و شاعر و لغوي و عالم و أستاذ و موسوعة لمعارف عصره. وتشير مؤلفاته إلى كل ذلك. وله شهرة إسلامية لتصانيفه العظيمة في الحديث والفقه والسيرة كما أن له شهرة عالمية كمؤلف "الضوء اللامع" الذي يضم تراجم ما يزيد على عشرة آلاف من الرجال والنساء من معاصريه و أبناء قرنه. وله مكانة خاصة عند العلماء والمستشرقين والمؤرخين كمؤرخ ناقد عظيم بعد ابن خلدون. وقد صدق الشوكانى لما قال في ترجمته و قوله هذا خلاصة الأقوال فيه:

"لو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلاّ

"الضوء اللامع" لكان أعظم دليل على إمامته. (33)

الهوامش

1- الزركلي، خيرالدين: **الأعلام**، بيروت، مؤسسة الرسالة (الطبعة الثالثة) 1389هـ/ 1979م، ج7، ص67.

2- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، 1376هـ/1957م، ج10، ص 150.

3- راجع السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، مكتبة القدسي، (1353–1355هـ) ج 8ص 15-19.

4- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1967م، ج 3، ص 179.

5- الزركلي: **الأعلام**، ج 7، ص68.

6- راجع كتاب المقري: نفح الطيب، مصر، المطبعة الأزهرية، 1302هـ، وطبع على هامشه كتاب السخاوي "تحفة الأحباب".

7- السخاوي: الضوء اللامع، ج 8، ص 15.

8- العيدروسي: عبدالقادر، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، (ضبط و تصحيح محمد رشيد أفندي الصفار)، بغداد، المكتبة العربية، مطبعة الفرات 1353هـ/ 1934م، ص 18.

9- جامعة بنجاب، لاهور: دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الأردية) لاهور، مطبعة

نيو لاتس و مطبعة جامعة بنجاب، 1393هـ /1974م، ج 10 ، ص 760 (مقال الأستاذ عبدالقيوم: "السخاوي").

10- الكلية الشرقية بجامعة بنجاب لاهور: مجلة الكلية الشرقية، (عدد مايو 1948م) ص 13-14 (مقال الأستاذ عبدالقيوم "الحافظ السخاوي").

11- ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدسي، 1351هـ، ج 8، ص 16.

12- إبن العماد: شذرات الذهب، ج 8، ص 16.

13- حاجي خليفة: كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، بيروت، منشورات مكتبة المثنى و إستانبول، معارف مطبعه سي، 1360هـ / 1941م، المجلد الثاني وعمود رقم 1080.

14- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج 3، ص 178.

15- الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1348هـ، ج 2، ص 186.

16- Gibb, H.A.R.: Arabic Literature, Oxford University Press, 1963, P. 144.

17- See Franz Rosenthal: A History of Muslim Historiography, published by E.J. Brill Limited, Leiden, Netherlands.

و راجع أيضاً روز نثال، فرانز: علم التاريخ عندالمسلمين،(ترجمة الدكتور صالح احمد العلي و مراجعة محمد توفيق حسين) بغداد مكتبة المثنى 1963م.

18- Rosenthal: An Introduction to History (English translation of Ibn Khaldun's "The Mukaddimah) Routledge & Kegan Paul Ltd., 1958, Vol. I, P. LXVI.

19- راجع الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دمشق، مطبعة الترقي، 1349هـ، ص1

20- العيدروسي: النور السافر، ص 18.

21- الزركلي: الأعلام، ج7، ص 67-68.

22- العيدروسي: النور السافر، ص 18

23- السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، (حرّره الدكتور فيليب حتي)، نيويورك، المطبعة السورية الأميريكية لصاحبها سلوم مكرزل، 1927م، ص 152.

24- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج 3، ص 178.

25- السخاوي: الضوء اللامع، ج 1، ص 5 (المقدمة).

26- السخاوى: الضوء اللامع، ج 1، ص 5 (المقدمة).

27- ابن العماد: شذرات الذهب، ج8، ص 16.

28- العيدروسي: النور السافر، ص 18-19.

29- راجع لأسماء الكتب (1-189) الضوء اللامع، ج 8، ص 15-19.

30- راجع لأسماء الكتب (190-192) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ج 3، ص 179.

31- طبع على هامش نفح الطيب للمقري، مصر، المطبعة الأزهرية، 1302هـ.

32- راجع "الأعلام" للزركلي، ج 7، ص 68.

33- الشوكاني: البدر الطالع، ج 2، ج 186.

❁ ❁ ❁

الباب الثالث

المقّري و كتابه

نـفـح الـطـيـب

المقّري و كتابه ''نفح الطيب''

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيىٰ بن عبدالرحمن بن أبي العيش بن محمد أبو العباس المقري التلمساني المولد المالكي المذهب. (1)

والمقري بفتح الميم و تشديد القاف و آخرها راء مهملة، وقيل بفتح الميم و سكون القاف، لغتان أشهرهما الأولى، نسبة إلى قرية من قرى تلمسان، و إليها نسبة آبائه. (2)

ولد أحمد المقري بقرية ''مقّرة'' في تلمسان سنة 1000 هـ. وتقع المقّرة إلى جنوب شرق ''مصيلة'' على بعد اثني عشر ميلاً. وهي منضمة الآن إلى ولاية قسطنطين بمملكة الجزائر الجديدة. (3)

وقال المقري معرفاً موطنه تلمسان:

''إنها بلدة عظيمة من أحاسن بلاد المغرب. و إنها في يد العثمانيين سلاطين مملكتنا. وهي الحد المضروب بين سلطاننا و سلطان المغرب''. (4)

ولد بتلمسان ونشأ بها. وحفظ القرآن و قرأ و حصل بها على عمّه الشيخ الجليل العالم أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري مفتي تلمسان ستين سنة. ومن جملة ما قرأ عليه صحيح البخاري سبّع مرات. وروى عنه الكتب الستة بسنده عن أبي عبدالله التنسي عن والده حافظ عصره محمد بن عبدالله التنسي عن البحر أبي عبدالله بن مرزوق عن أبي حيان عن أبي جعفر بن الزبير

عن أبي الربيع عن القاضي عياض بأسانيده المذكورة في كتاب الشفاء. والأحاديث المسندة في الشفاء جمعها ستون حديثاً. (5)

ورحل إلى فاس مرتين، مرة سنة تسع بعد الألف و مرة سنة ثلاث عشرة . وكان يخبر أنها دارالخلافة للمغرب، وكان بها الملك المعظم مولاي أحمد المنصور المشهور بالفضل والأدب، وأن الفتوى صارت إليه في زمنه ومن بعده. (6)

لما اختلّت أحوال المملكة بسبب أولاده إلى حديث يطول ذكره، ارتحل تاركاً المنصب والوطن في أواخر شهر رمضان سنة سبع و عشرين بعد الألف قاصداً حج بيت الله الحرام. وأنشد صاحب مراكش متمثلاً قول علي بن عبدالعزيز الحضرمي:

محبتي تقتضي مقامي

وحالتي تقتضي الرحيلا

فأجابه صاحب مراكش بقوله:

لا أوحش الله منك قوماً

تعوّدوا صنعك الجميلا (7)

ثم ورد إلى مصر بعد أداء الحج في رجب سنة ثمان و عشرين و ألف، وتزوج بها من السادة الوفائية وسكنها. (8)

ثم زار البيت المقدس في شهر ربيع الأول سنة تسع و عشرين و ألف، ورجع إلى القاهرة. وكرّر منها الذهاب إلى مكة خمس مرات، فدخلها بتاريخ سنة سبع و ثلاثين، و أملىٰ بها دروساً عديدة.

و وفد على طيبة سبع مرّات. و أملىٰ الحديث النبوي بمرأى منه صلّى

الله عليه وسلم ومسمع.

ثم رجع إلى مصر في صفر سنة تسع و ثلاثين. ودخل القدس في رجب تلك السنة. وأقام خمسة و عشرين يوماً. ثم ورد منها إلى دمشق، فدخلها في أوائل شعبان. وأنزلته المغاربة في مكان لايليق به. فأرسل إليه أحمد بن شاهين مفتاح "مدرسة الجقمقية". (9)

ولما دخل إليها أعجبته. فنقل أسبابه إليها و استوطنها مدة إقامته. وأملى صحيح البخاري بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح. ولمّا كثر الناس بعد أيام. خرج إلى صحن الجامع تجاه القبّة المعروفة بالباعونية. وحضره غالب أعيان علماء دمشق. وأما الطلبة، فلم يتخلف منهم أحد. وكان يوم ختمه حافلاً جداً اجتمع فيه الألوف من الناس وعلت الأصوات بالبكاء. (10)

وكانت إقامته بدمشق دون الأربعين يوماً. ثم رحل منها في خامس شوال سنة تسع و ثلاثين إلى مصر. وعاد إلى دمشق مرّة ثانية في أواخر شعبان سنة أربعين. وحصل له من الإكرام ما حصل في قدمته الأولى. (11)

و دخل مصر و استقرّ بها مدة يسيرة. ثم طلّق زوجته الوفائية وأراد العود إلى دمشق للتوطن بها. ففاجأه الحمام قبل نيل المرام. وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة إحدى و أربعين و ألف. و دفن بمقبرة المجاورين. وقال الأديب إبراهيم الأكرمي في تاريخ وفاته:

قد ختم الفضل به فأرّخوه خاتم. (12)

هذه نخبة من حياة المقري (1000–1041هـ) أديب المغرب ومؤرخ الأندلس الذي كان جاحظ البيان، فصيح اللسان، شاعراً أديباً، محدثاً فقيهاً، عالماً عظيماً. والذي قضى معظم حياته في الرحلات والأسفار والزيارات،

طلباً للعلم و التدريس و حباً للدين و الأدب. فكان من أبرز علماء أهل السنة و الجماعة، كما أنه كان قاضياً مفتياً على مذهب ا لإمام مالک إمام دار الهجرة رحمه اللّٰه تعالى. و اعترف بفضله رجال الدين و الأدب و السياسة في عصره و من بعده. و كانت منيّته وافته لما كان جاوز الأربعين من عمره فقط. فدفن في غير موطنه. فلم يستطع أن يذهب إلى دمشق، و لم يكتب له أن يعود إلى المغرب في آخر حياته. و ألف كتباً كثيرة نادرة رغم قصر حياته أشهرها "نفح الطيب" الذي يعتبر دائرة للمعارف الأندلسية العربية الإسلامية باللغة العربية الفصحى.

و كان المقري تأثر كثيراً بشخصية و أسلوب النابغة الأديب الشهير لسان الدين ابن الخطيب، فألّف فيه كتابه "نفح الطيب". و لكن كتب المقري تمتاز بظاهرة ليست في كتب لسان الدين، كما شرح ذلک الأستاذ محمد محي الدين عبدالحميد وهو من أبرز الباحثين و المحققين في العالمين العربي و الإسلامي المعاصرين. فقال في مقدّمته لنفح الطيب:

> "صنف المقري كتباً كثيرة، كلها ممتع، و كلها مفيد أعظم الفائدة. وتمتاز كتبه الأدبية بصفاء العبارة و نقاء الديباجة و إشراق المعنى و وضوحه. وهو في ذلک كلّه يتأسّى بلسان الدين ابن الخطيب، وزير الأندلس و أديبها، وينسج على منواله.
>
> و لكن كتب المقري تمتاز بظاهرة ليست في كتب لسان الدين. هذه الظاهرة هي استطراداته الكثيرة و خروجه عما يعقدله الباب إلى مايشبهه أو يتصل منه بسبب شأن الرجل الواسع العلم الكثير المحفوظ، إذ تزدحم المتشابهات على

ذهنه، فتنساب على أثلاث قلمه لا يستطيع لها دفعاً، ولا يقوي على رد جامحها. وإنّه ليخيّل إليه أنه قد قصّر كل التقصير حين يحبس قلمه أو يقف به دون بلوغ الغاية. وقد عدّه الأدباء لهذه الظاهرة جاحظ المغرب، إذ كانت هذه أشهر ما امتاز به قلم أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. قال صاحب "خلاصة الأثر" في التعريف به:

حافظ المغرب، جاحظ البيان، ولم يرنظيره في جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة. وكان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث، ومعجزاً باهراً في الأدب والمحاضرات". (13)

وأما مؤلفات المقري، فهي كثيرة متنوعة نادرة. ومنها:

1- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. (عرف الطيب في أخبار بن الخطيب).
2- فتح المتعال في وصف التعال.
3- إضاء ة الدجنة في عقائد أهل السنة.
4- أزهار الكمامة في أخبار العمامة.
5- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض.
6- قطف المهتصر في أخبار المختصر.
7- إتحاف المغرى في تكميل شرح الصغرى.
8- عرف النشق في أخبار دمشق.
9- الغث والسمين والرث والثمين.

10- روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر
من لقيته من أعلام مراكش وفاس.
11- الدرّ الثمين في أسماء الهادي الأمين.
12- حاشية شرح أم البراهين.
13- البداءة والنشاءة (كلّه أدب و نظم).
14- رسالة في الوفق المخمس الخالي الوسط.
15- أنواع النسيان في أبناء تلمسان.
16- الجمان في مختصر أخبار الزمان.
17- الدر المختار من نوادر الأخبار.
18- القواعد السرّية في حل مشكلات الشجرة النعمانية.
19- النمط الأكمل في ذكر المستقبل.
20- إفادة المغرم المغري بتكميل شرح الصغرىٰ. (14)

وكان المقري كثير التصنيف والتأليف. و مؤلفاته كلها هامة معروفة بين أهل العلم والأدب. ولكنه اشتهر في الشرق والغرب خاصة لكتابه "نفح الطيب" الذي يعتبر دائرة للمعارف الأندلسية علماً وأدباً وسيرة وتاريخاً وحضارة و ثقافة. فقال المستشرق البريطانى نيكلسون فى أهميته:

Al-Maqqari's work is our principal authority for the literary history of Muslim Spain. (15)

ويعني ذلک أن كتاب المقري هو سندنا و مصدرنا الرئيسى لتاريخ الأدب الأندلسي الإسلامي.

ونجد في "دائرة المعارف ا لإسلامية" بياناً جامعاً يعرّف المقري

وكتابه "نفح الطيب" تعريفاً جيداً:

"Indeed his masterpiece written in East at the suggestion of Ibn-Shaheen from the material collected by him in the Maghrib, is a long monograph on Muslim Spain and the famous Encyclopedist of Granada Lisan al-Din Ibn al-Khatib, Nafh al-Tib min Ghusn al-Andalus al-Ratib wa-Dhikr Wazirha Lisan al-Din Ibn al-Khatib, an immense compilation of historical and literary information, poems, letters, quotations, very often taken from works now lost.

It is this, that gives the Nafh al-Tib an inestimable value and puts it in the first rank of our sources of Muslim Spain from the conquest to the last days of the "Reconquista". Even for the latter period, it is the only Arabic source that we still posses". (16)

وملخص هذا البيان الهام هو أن الكتاب "نفح الطيب" يضمّ كثيراً من المعارف الأدبية والتاريخية والأقوال والرسائل والمنظومات المقتبسة من المصنّفات التي لاتوجد الآن، فلذلك أصبح الكتاب ذا أهمية كبرى، و وضع في الصف الأول بين مصادرنا للأندلس المسلمة من الفتح إلى الفتح الجديد، وحتّى للعصر المتأخّر هو، مصدر عربي وحيد الذي حفظناه إلى الآن.

وقال المقّري في تسمية هذا الكتاب الخالد:

"وقد كنت أولاً سمّيته بعرف الطيب في التعريف بالوزير

ابـن الـخـطيـب. ثـم وسّـمته حين ألحقت أخبار الأندلس به بـنـفـح الـطيـب مـن غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب". (17)

أمـا طبـعـات هـذا الكتاب "نفح الطيب" الناقصة والكاملة في الشرق والغرب، فهي كثيرة متنوعة، ومنها:

1- طبـع السيـد باسكويل دى غيانغوس (Pascual de Gayangos) ترجمة إنجليزية لنفح الطيب فى لندن عام 1840هـ بالعنوان التالى:

The History of Muhammaden Dynasties in Spain.

وهي طبعة و ترجمة جيّدة محققة مزيّنة بالتعليقات العلمية الثمينة.

2- وطبـع الـقسـم الأول مـن "نـفـح الطيب" الخاص بالأندلس، وهو أكثر من نصف الكتاب، في مدينة ليدن عام 1855م بالعنوان التالي:

Analectes Sur L, histoire et la litterature des Arabs de Espagne. (Editted by: R. Dozy, G. Dugat, J. Krehl and W. Writhg).

3- وطبـع "نـفـح الـطيـب" فـي "مـطبـعة بـولاق" بالقاهرة سنة ألف ومـائتيـن و تسع و سبعين (1279م) بـأكـمـلـه، وبتـصحيح المرحوم الشيخ محمد بن عبدالرحمن المشهور بقطة العدوي.

4- ثـم طبـعـت "الـمـطبـعة الأزهرية" نفح الطيب كاملاً فى عام ألف وثلثمائة و اثنين الهجري. (1302هـ)

5- و طبـع أقلّ من ربع الكتاب من جانب "دار المأمون" بالقاهرة في عام ألف وتسعمائة وستة و ثلاثين (1936م/ 1355هـ). وقامت بطبعه

"مطبعة عيسى البابي الحلبي" بعد أن راجعت "وزارة المعارف العمومية" هذا الكتاب. فأهداه "الخادم المخلص" أحمد فريد الرفاعي "إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا المعظم فاروق الأول، ملك مصر "كما هو مكتوب في بداية الجزء الأول منه. وطبع الكتاب بالتعليقات النفيسة التي ذيّل بها العلامة الأستاذ أحمد يوسف نجاتي.

6- وذكر الأستاذ عبدالحميد، محقق "نفح الطيب" نسخة خطية لهذا الكتاب، وهي ناقصة من أولها:

"وفي مكتبتي الخاصة نسخة خطية جليلة من هذا الكتاب تنقص من أولها جزء اً من ستة أجزاء. وفي هامشها ما يدّل على مراجعتها على نسخ أخرى. ولكن بائعها– جزاه الله بما هو أهله– قد عدا على أوائل الأجزاء و أواخرها، فلم يترك لي ما أستدل منه على مالكها أو ناسخها". (18)

7- وطبع "نفح الطيب" بأكمله أخيراً بمطبعة السعادة في عام ألف وتسعمائة و تسعة و أربعين الميلادي (1949م/ 1367هـ) بعد أن حقّقه و ضبط غرائبه و علّق حواشيه الأستاذ الجليل محمد محي الدين عبدالحميد بمصر، فنشره دار الكتاب العربي ببيروت.

فقال الأستاذ محي الدين في طبعة بولاق (1279 هـ) للكتاب "نفح الطيب":

"هي طبعة جيدة، لكنها لا تخلو من التصحيف، و بخاصة في أعلام البلدان والأناسي. وقد جعلنا هذه الطبعة الأصل الذي اعتمدناه و نبّهنا على ماظهر لنا من أخطائها في هوامش

الكتاب. وهذه الطبعة هي التي نرمز إليها بحرف "ب". (19)

وقال الأستاذ عبدالحميد في طبعة "المطبعة الأزهرية" (1302هـ):

"ليس في هذه الطبعة شيء يميّزها عن المطبوعة السابقة إلا أن أخطائها أكثر من أخطائها، وهي التي نرمز إليها بحرف "ز". (20)

ومدح الأستاذ عبدالحميد طبعة ليدن (القسم الأول: 1855م) قائلاً:

"وهذه أدق من الأولى تصحيحاً فوق أنها تشتمل على ضبط بعض الأعلام والكلمات، و تشير في أسفل صفحاتها إلى اختلاف النسخ. وهذه النسخة التي نشير إليها. بحرف "ا". (21)

وتدّل هذه التفاصيل كلّها على أن طبعة "نفح الطيب" التي قام بمراجعتها و مقارنتها بالطبعات السابقة الأستاذ الجليل محمد محي الدين عبدالحميد تضمّ محاسن الطبعات السابقة وتخلو من نقائصها إلى حد كبير. وتستحق أن يعتمد عليها أكثر من الاعتماد على الطبعات المتقدمة المذكورة آنفاً. و إن كانت لكل نسخة وطبعة أهميتها، ولولا ها لما وجدت هذه الطبعة المتأخرة المحققّة الممدوحة، في أغلب الظن. وقال الأستاذ محي الدين مشيراً إلى طبعة بولاق والأزهر و دار المأمون وليدن:

"وقد راجعت هذه المطبوعة على هذه النسخ كلمة كلمة. وضبطت من مفردات الكتاب و أعلامه ما أعتقد أنه محتاج إلى الضبط بالشكل. وكثيراً ما أضبط أعلام الأماكن بالعبارة في الهوامش و أنسب هذا الضبط إلى ما ذكره، كما

أبين موضع هذه الأماكن. وشرحت– فوق هذا– بعض الألفاظ شرحاً لغوياً وجيزاً رغبة مني في معونة القارئ المتوسط على فهم عبارة الكتاب.

ولم أشأ أن أدلّ على اختلاف الروايات فيما تعرض له المؤلف من التاريخ لثلاثة أمور:

أولها أن المؤلف نفسه يذكر في أكثر الأحايين روايات مختلفة في المسألة الواحدة.

وثانيها أنني خشيت أن يطول الكتاب فتقعد بالناشر همته عن إتمامه. فان أعظم ما مُنِي به العلماء والباحثون في هذا العصر أن يكون ظهور جهودهم المضنية وقفاً عند رغبة الوارقين.

وثالثها أن الكتاب في ذاته من أمهات المراجع، ومؤلفه من الذين عُنوا أكبر العناية بما كتب فيه، وهو من محققي المتأخرين، وكل عبارة تخالف ماعنده– يغلب على الظن– أنه اطلع عليها ثم عدل عنها. (22)

8- وقام المولوي خليل الرحمن السرادهوي بترجمة "نفح الطيب" إلى اللغة الأردية طبعتها "مطبعة معهد الجامعة المسلمة" في مدينة عليكرھ الهندية عام ألف و تسعمائة و واحد و عشرين الميلادي (1921م). ولكنها ترجمة حذف منها كثير من المعلومات والأبيات الموجودة في النص العربي الأصلي. وقد بيّن المترجم أسباب حذفها. وعلى رأسها إيثار الإيجاز و ترک مالا يعنيه. وعلى كل حال هي ترجمة مفيدة معرّفة للمقري و كتابه "نفح الطيب" في شبه القارة

الهندية، رغم كونها غير كاملة في أماكن مختلفة. (23)

9- وطبعت "أكاديمية نفيس" في كراتشي ترجمة "نفح الطيب" باللغة الأردية عام 1973م في أربع مجلدات. وهي ترجمة جيّدة.

ويدلّ ذلك كلّه على أن كتاب المقري "نفح الطيب" قد طبع مراراً. و ترجم إلى اللغات الشرقية و الغربية المختلفة لأهميتها التاريخية و الأدبية و الثقافية و الاجتماعية. و لله درّ المصنف.

وعرّف المقّري كتابه الضخم الثمين "نفح الطيب" باباً باباً بلغته الفصحى و أسلوبه الرائع، فننقل هنا تعريفه بثمانية أبواب من القسم الأول المتعلق بالأندلس حتى يستطيع القارئ أن يعرف أسلوبه و محاسن كلامه مع تقديره لأهمية كتابه الفريد النادر المثال:

"وبعد أن ختمت تمام هذا التصنيف، وأمعنت النظر فيما يحصل به التقريط لسامعه و التشنيف، قسّمته قسمين. و كل منهما مستقل بالمطلوب فيصح أن يسمّيا باسمين:

القسم الأول: فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار المترعة الأكواب، و الأنباء المنتحية صُوب الصواب، الرافلة من الإفادة في سوابغ الأثواب، وفيه بحسب القصد والاقتصاد، وتحرى التوسط في بعض الموانع دون الاختصار، ثمانية أبواب.

الباب الأول: في وصف جزيرة الأندلس وحسن هوائها، و اعتدال مزاجها و وفور خيرها وكمالها واستوائها، واشتمالها على كثير من المنافع والمحاسن و احتوائها،

وكرم نباتها الذي سقته سماء البركات من جنباتها بنافع أنوائها، وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور، وتعداد كثير محالها من البلدان والكور، المستمدة من أضوائها.

والباب الثاني: في إلقاء بلد الأندلس للمسلمين بالقياد، وفتحها على يد موسى بن نُصير و مولاه طارق بن زياد، وصيرورتها ميداناً لسبق الجياد، ومحط رحال الارتياء والارتياد، و ما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه زياد، ونبأ وصل إليه اعتيام، و تقرر لمثله اعتياد.

الباب الثالث: في سرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز السامي العماد، والقهر للعدو في الرواح والغدو، والتحرك للعدو البالغ غاية الآماد، وإعمال أهلها للجهاد بالجدّ والاجتهاد، في الجبال والوهاد، بالأسنّة المشرعة والسيوف المستلّة من الأغماد.

الباب الرابع: في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها، للأعداء قاهرة، وجامعها الأموي ذي البدائع الباهية الباهرة، والإلماع بحضرتي الملك الزهراء الناصرية والعامرية الزاهرة، وصف جملة من منتزهات تلك الأقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة، ويجرّ إليه شجون الحديث من أمور نقضي بحسن إيرادها القرائح الوقادة والأفكار الماهرة.

الباب الخامس: في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد

المشرق الذاكية العرار والبشام، ومدح جماعة من أولئك الأعلام، ذوي الألباب الراجحة والأحلام، لشامه وجنة الأرض دمشق الشام، وما اقتضته المناسبة من كلام أعيانها وأرباب بيانها ذوي السؤدد والاحتشام، ومخاطباتهم للمؤلف الفقير حلّها عام سبعة وثلاثين وألف، وشاهد برق فضلها المبين وشام.

الباب السادس: في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق، المهتدين في قصدهم إليها بنور الهداية المضيء المشرق، والأكابر الذين حلّوا منها بحلولهم فيها الجيد والمفرق، وافتخروا برؤية قطرها المؤنّق على المشئم والمعرق.

الباب السابع: في نبذة مما منّ اللّٰه تعالى به على أهل الأندلس من توقّد الأذهان، وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عزّ أو هان، وحوزهم في ميدان البراعة من قصب السبق خصل الرهان، وجملة من أجوبتهم الدالة على لوذعيتهم، وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم، وغير ذلك من أحوالهم التي على فضلهم أوضح برهان.

الباب الثامن: في ذكر تغلّب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد إليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره، واستعماله في أمرها حِيَل فكره حتى استولى -دمّره اللّٰه- عليها، ومحا منها التوحيد واسمه، وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه، وقرّر مذهب التثليث والرأي

الـخبيـث لـديهـا، واستغاثه من بها بالنظم والنثر، أهل ذلک العـصـر، مـن سائر الأقطار، حين تعذرت بحصارها، مع قلة حـماتها و أنصارها، المآرب والأوطار، وجاء ها الأعداء من خـلـفهـا ومن بين يديها، أعاد الله تعالى إليها كلمة الإسلام، و أقـام فيهـا شـريعة سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، ورفع يد الكفر عنها و عمّا حواليها، آمين". (24)

وقال المقري معرفاً القسم الثاني من كتابه "نفح الطيب":

"القسم الثاني: في التعريف بلسان الدين بن الخطيب، و كر أنبائه التي يروق سماعها و يتأرج نفحها ويطيب، وما يناسبها مـن أحـوال الـعـلـمـاء والأفـراد والأعلام، الذين اقتضى شـجـونهـا الـكـلام والاستـطـراد. و فيـه أيضاً من الأبواب ثـمـانية، موصلة إلى جناب أدب قطوفها دانية، وكل غصن منها رطيب". (25)

وتتعـلـق هذه الأبواب الثمانية من القسم الثاني بذكر لسان الدين بن الخطيب على النحو التالي:

الباب الأول: في أولية لسان الدين و ذكر أسلافه.

الباب الثاني: في نشأة لسان الدين بن الخطيب.

الباب الثالث: في ذكر شيوخ لسان الدين بن الخطيب.

الباب الرابع: في مخاطبات الملوک والأكابر للسان الدين، و ثناء أهل عصره عليه.

الباب الخامس: في إيراد جملة من نثر لسان الدين وشعره.

الباب السادس: في مصنفات لسان الدين بن الخطيب.

الباب السابع: في ذكر تلامذة لسان الدين بن الخطيب.

الباب الثامن: في ذكر أولاد لسان الدين بن الخطيب. (26)

ومن العجيب جداً أن السيد باسكوال دى غيانغوس، مترجم "نفح الطيب" إلى اللغة الإنجليزية و محقّقه، لم يعتن بالباب الخامس إلا قليلاً، رغم معرفته بأهمية الباب. واعترف بذلك في مقدّمته لترجمة الكتاب:

"Of book (v) which contains the lives of illustrious Spanish Muslims who travelled to the East in search of knowledge, I have made little or no use except in the notes". (27)

(أمّا الباب الخامس الذي يشتمل على تراجم مسلمي الأندلس البارزين الذين ارتحلوا إلى المشرق طلباً للعلم، فلم أستفد منه إلا قليلاً، وفي الهوامش فقط).

فلا غرو بذلك فان الباب نادر المثال في موضوعه كما قال السيد نيكلسون معترفاً بأهمية الباب الخامس و معرّفاً به:

The list of the Spanish savants who journeyed in quest of knowledge (Fi Talabil Ilm) to Africa and Egypt, to the hloy cities of Syria and Iraq, to Khurasan, Transoxonia, and in some cases even to China, includes as may be seen from the Maqqari's fifth chapter, nearly all the eminent scholars and men of letters whom Muslim Spain has produced (28).

ملخّص البحث

هذه نبذه من حياة المقري و مؤلفاته، مع تعريف بكتابه "نفح الطيب". فكان المقري محدّثاً كبيراً وفقيهاً مالكياً ومفسراً متكلّماً وعبقرياً عظيماً، كما أنه كان فصيح اللسان، جاحظ البيان، شاعراً أديباً. وكذلك كان مؤرخاً نادراً و مؤلفاً فريداً. فاشتهر في الشرق والغرب خاصة لتأليفه الضخم الثمين النادر العظيم المسمّى بنفح الطيب الذي يعتبر دائرة المعارف الأندلسية العربية الإسلامية عبر القرون والعصور. ولو لا المقرّي وكتابه "نفح الطيب" ،لضاع كثير من تراث العلوم الأندلسية العربية شعراً وأدباً ولغة و تاريخاً و حضارة وثقافة. فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأعاد إلى الأندلس أمجادها الماضية مرّة أخرى، والله على كل شيء قدير.

الهوامش

1- المحبي، محمد أمين بن فضل الله: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مكتبة خياط، بيروت، الجزء الأول، ص 302.

2- المحبي: خلاصة الأثر، ج 1، ص 311.

3- Encyclopedi of Islam, Leyden, Volume. 3, p.173.

4- المقري: نفح الطيب، ج 1، مقدمة المؤلف، والمحبي: خلاصة الأثر، ج 1، ص303.

5- المحبيّ– خلاصة الأثر، الجزء الأول، ص 303.

6- المحبيّ– خلاصة الأثر، الجزء الأول، ص 303.

7- المحبيّ– خلاصة الأثر، الجزء الأول، ص 303.

8- المحبيّ– خلاصة الأثر، الجزء الأول، ص 304.

9- المحبيّ– خلاصة الأثر، الجزء الأول، ص 304.

10- المحبيّ– خلاصة الأثر، الجزء الأول، ص 305.

11- المحبيّ– خلاصة الأثر، الجزء الأول، ص 311.

12- المحبيّ– خلاصة الأثر، ج1، ص 311.

13- المقري– نفح الطيب، بيروت، دار الكتاب العربي، 1949م، الجزء الأول،

ص 5، مقدمة الأستاذ محي الدين عبدالحميد، وراجع لقول المحبي المذكور خلاصة الأثر، ج 1، ص 302.

14- راجع لأسماء مؤلفات المقري (1-14) خلاصة الأثر للمحبي، ج1، ص 302-303. وذكر المحبي، "نفح الطيب" باسم "عرف الطيب".

وراجع "نفح الطيب" للمقري، ج 1، ص 5-6، (مقدمة الأستاذ محي الدين عبدالحميد) و "هدية العارفين" للبغدادي و "كشف الظنون" للحاجي خليفة، فذكر في "الهدية" و "الكشف" بعض الأسماء لمؤلفات المقري لم يذكرها المحبي. ولعلّ الكتاب (رقم 20) هو نفس الكتاب الذي ذكره المحبي باسم "إتحاف المغرى في تكميل شرح الصغرى". فذكر صاحب الهدية "الكبرى" بدلا من "الصغرى".

15- R. A. Nicholson: A literary History of the Arabs. P.413. Footnote 1, London. 1969-See also, History of the Arabs by Philip K. Hitti. p. 567. Footnote 1. New York, 1968).

16- Encylopedia of Islam, Volume 3. P. 174, Leyden.

17- المقري: نفح الطيب، بيروت، دار الكتاب العربي، 1949م، ج1، ص 116 (مقدمة المؤلف).

18- المقري: نفح الطيب، بيروت، دار الكتاب العربي، 1949م، ج 1، ص 14-15، (مقدمة محقق الكتاب، محي الدين عبدالحميد).

19- المقري: نفح الطيب، بيروت، دار الكتاب العربي، 1949م، ج 1، ص 14، (مقدمة محي الدين عبدالحميد).

20- المقرى: نفح الطيب، بيروت، دار الكتاب العربي، 1949م، ج 1، ص 14، (مقدمة الأستاذ محي الدين عبدالحميد).

21- المقري: نفح الطيب، بيروت، دارالكتاب العربي، 1949م، ج1، ص 14 (مقدمة المحقق محي الدين عبدالحميد).

22- المقري: نفح الطيب، بيروت، دارالكتاب العربي، 1949م، ج1، ص 15 (مقدمة الأستاذ محي الدين).

23- راجع ترجمة "نفح الطيب" للمقري باللغة الأردية، ص 10-12، المترجم: المولوى خليل الرحمن السرادهوي، مسلم يونيورسٹي انسٹی ٹیوٹ علیگره، الهند، 1921م.

24- المقري: نفح الطيب، بيروت، دارالكتاب العربي، 1949م، ج1، ص 113-115، (مقدمة المؤلف).

25- المقري– نفح الطيب، ج1، ص 116، (مقدمة المؤلف).

26- المقري: نفح الطيب، راجع أسماء الأبواب للقسم الثاني.

27- Pascual de-Gayangos: A History of Mohammaden Dynastics in Spain. Landon. 1840. V.I.P. 14. (Preface).

28- R. A Nicholson: A Literary History of the Arabs. London. 1969. P. 419.

❁ ❁ ❁

الباب الرابع

إقبال والعروبة

إقبال والعروبة

يعتبر محمد إقبال (1877–1938م) من أبرز العلماء والمفكرين المسلمين في العصر الحديث. وله مؤلفات و كتابات كثيرة باللغات الأردية والفارسية والإنجليزية أشهرها و أوسعها انتشاراً دواوين شعره باللغتين الأردية والفارسية التي تعبّر عن أفكاره السامية و مشاعره الإسلامية بمراعاة الحدود والقيود الشعرية العليا المثالية جعلته فريد عصره و علامة دهره، بل لا يوجد له نظير ولامثيل في تاريخ الشعر الإسلامي كمّاً ولا كيفاً عند أغلبية الأعلام من العرب والمسلمين والمستشرقين في القرن العشرين.

وألّفت و نشرت مئات الكتب والمقالات عن حياة إقبال و شعره وأفكاره، كما ترجمت دواوين شعره الأردية والفارسية إلى اللغة العربية واللغات الأخرى. ومن دواوين شعره، صوت جرس القافلة (بانگ درا) وجناح جبريل (بال جبريل) و ضرب الكليم (ضرب كليم) ورسالة الشرق (پيام مشرق) و زبور العجم (زبور عجم) و أسرار الذات (اسرار خودی) ورموز نفي الذات (رموز بی خودی) وهدية الحجاز (أرمغان حجاز) وماذا يجب أن يفعل يا أمم الشرق (پس چه باید کرد ای اقوام شرق).

ألّف محمد إقبال أول كتبه "علم الاقتصاد" باللغة الأردية، واشتهر بمحاضراته التي ألقاها باللغة الإنجليزية في بعض الجامعات بمدينة عليكره و حيدرآباد دكن و مدراس والتى جمعت في كتابه المسمّى (Reconstruction of Religious Thought in Islam)

وترجمت إلى العربية باسم (تجديد التفكير الديني في الإسلام) فطبعت سنة 1955م.

ونال إقبال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة مونيخ الألمانية. وكان كتب أطروحته للدكتوراه عن: "ما وراء الطبيعة في فارس" (Metaphysics in Persia) تحت إشراف الأستاذ هومل (T. Howmel) أحد المستشرقين المتخصّصين في اللغات الساميّة.

ويدل ذلك كله على أنه كان يعرف اللغات الأردية والفارسية والإنجليزية معرفة تامة بالإضافة إلى لغته الأم البنجابية. وتعلّم اللغة الألمانية لمّا سافر إلى ألمانيا في ربيع عام 1907م وأقام في مدينة هيدل بورغ ليتعلّم اللغة الألمانية فيها، ثم سافر في خريف نفس السنة إلى مونيخ. (1)

إقبال واللغة العربية

أما علاقة إقبال باللغة العربية، فكانت علاقة مباشرة محكمة أبدية، وإن لم يُكتب له أن يؤلّف الكتب أو ينظم الشعر باللغة العربية لأسباب وظروف. ونجد في شعر إقبال تأثير القرآن والحديث وتأثير اللغة العربية وآدابها الإسلامية واسعاً عميقاً يظهر في آلاف الآيات والأحاديث والكلمات والمصطلحات والمقتبسات والمفاهيم العربية المنظومة في دواوينه الشعرية. ثم لا يخفى على أحد أن اللغتين الأردية والفارسية اللّتين نظم إقبال بهما تكتبان بالحروف العربية وهما مليئتان بالكلمات والمفردات والمصطلحات العربية. ولا يستطيع أحد أن يتقنهما بدون معرفة اللغة العربية والإتقان فيها. فكل ماقدّم إقبال من دواوين شعره بالأردية والفارسية يرجع أساسياً إلى إتقانه في اللغة العربية وآدابها بعد معرفته بالقرآن والحديث. ولا نستطيع في هذا

المقال أن نخوض في موضوع "تأثير اللغة العربية وآدابها في شعر إقبال" وقد كتب عنه كثير، بل يهمنا هنا أن نبحث في علاقة إقبال و ارتباطه بالعروبة لغة وموطناً و شعباً طيلة حياته. فلقد تعلّم اللغة العربية وقام بنشرها و زار بلادها ولقي الشعب الناطق بها في مختلف مراحل حياته. وكلّ ذلك يستحق العناية الخاصة لمعرفة إقبال المتشقف بالعربية والعروبة والمتحمّس لنشر اللغة العربية و تعريب الأمة الإسلامية.

في تاسع نوفمبر 1877م، ولدت إمام بي بي إقبالاً للشيخ نور محمد في مدينة سيالكوت البنجابية الواقعة على تخوم ولاية جمون و كشمير بالقرب من مدينة جمون و على بعد سبعين ميلاً من مدينة لاهور عاصمة إقليم بنجاب. وكان ينتسب إلى أسرة البراهمة الكشميرية، وهي الطبقة العليا من طبقات الهنادكة الأربع (برهمن، كهشترى، ويش، شودر). ويرجع تاريخ إسلام أجداده إلى ما قبل ثلاثة قرون. فتلقّى كلمات الأذان والإقامة العربية في أذنيه بعيد ولادته، وسمّي باسم عربي وهو "محمد إقبال". ثم نطق بالشهادتين وتعلّم الصلوة وقراءة القرآن باللغة العربية في صغر سنه. وكان أبوه نصحه مرة كماروى إقبال عنه: "إقرأ القرآن كأنّه ينزل عليك".

يقول إقبال:

"ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهّم القرآن و أقبل عليه.

فكان من أنواره ما اقتبست ومن درره ما نظمت." (2)

وتيسّر لمحمد إقبال أن يتعلّم اللغة العربية و يزيد معرفة بها لماّ كان طالباً في مدينة سيالكوت. فدخل "مدرسة سكوش التبشيرية" (Scotch Mission School) في سيالكوت التي سمّيت "كلية سكوش

التبشيرية" بعد أن فتحت فيها فصول الثانوية العليا (Intermediate). وكان السيد مير حسن الهاشمي أستاذ اللغتين العربية والفارسية بها. فعلّم إقبال وأدّبه وأرشده إلى معارف اللغة والأدب. فازداد معرفة باللغة العربية وآدابها بمرور الزمن. ولم ينس إقبال أستاذه مير حسن إلى آخر حياته. وكان شديد التأثر بشخصيته و معرفته ومننه عليه.

"ولما قضى وطره من الكلية، سافر إلى لاهور، عاصمة بنجاب، وانضمّ إلى "الكلية الحكومية" حيث حضر الإمتحان الأخير في الفلسفة، وبرز في اللغتين العربية وا لإنجليزية فنال وسامين، وأخذ شهادة الليسانس (B.A.) بامتياز. وفي لاهور، اتصلت أسبابه بالأستاذ الشهير "سرثوماس أرنولد" صاحب كتاب "دعوة الإسلام" (The Preaching of Islam) وعميد الكلية الإسلامية في علي كره سابقاً، و بالأستاذ عبدالقادر، المحامي والأديب الشهير." (3)

ونال إقبال شهادة الماجستير في الفلسفة وعيّن "باحث ما كلود للعربية" (Mcleod Arabic Reader) بالقسم العربي للكلية الشرقية بجامعة بنجاب، لاهور في 13 مايو 1899م. فقضى ثلاث سنين بها مشتغلاً باللغة والأدب والتدريس والتصنيف (1899–1903م).

وعيّن أستاذاً للإنجليزية والفلسفة بالكلية الحكومية التي كان تخرّج، منها. وشهد بكفاء ته و غزارة علمه الأساتذة والطلاّب جميعاً كما حاز ثقة وزراة المعارف. (4)

"ثم سافر إلى لندن سنة 1905م حيث التحق بجامعة "كامبريج" وأخذ شهادة عالية في الفلسفة و علم الاقتصاد. و مكث في عاصمة الدولة البريطانية ثلاث سنين يلقي محاضرات في موضوعات إسلامية، أكسبته

الشهرة والثقة. وتولّى في خلال تلك المدة تدريس آداب اللغة العربية في جامعة لندن مدة غياب أستاذه أرنولد.

ثم سافر إلى ألمانيا و أخذ من جامعة "مونيخ" الدكتوراه في الفلسفة. ثم رجع إلى لندن و حضر الا متحان النهائي في الحقوق، وانتسب إلى مدرسة "علم الاقتصاد والسياسة" في لندن و تخصّص في المادتين، ورجع إلى الهند سنة 1908م سالماً غانماً.

ولـمّا مرّ بصقلية في طريقه إلى الهند، سكب على ترابها دموعاً وقال قصيدة افتتحها بقوله:

إبک أيها الرجل أدمعاً لا دمعاً
فهذا مدفن الحضارة الحجازية (5)

"ورجع فيما بعد إلى وطنه في أواخر سنة 1908م، وأقام في لاهور. ولكنّه قام بأسفار مختلفة إلى أوروبا والقدس وأفغانستان وإلى جامعات متعددة في الهند. وعاش في لاهور حتى وفاته يوم 21 ابريل سنة 1938م التي كانت كما كتب عنها إلى صديق له من قبل:

هذه هي علامة المؤمن الحقيقي
إذا مات ارتسمت على شفتيه ابتسامة

لقد عمل إقبال في لاهور بالمحاماة، وفي وقت فراغه ألّف كتبه و أشعاره باللغتين الفارسية والأردية. وكان هدفه الجوهري التوصيل بين الإيمان والعلم أو بالأخرى بين الدين وعلوم العصر الحديث. (6)

ويقول الأستاذ مسعود الندوي بهذا الصدد:

وتعاطى المحاماة بعد الرجوع مدة من الزمن. ثم تركها لما بين قريحته الشاعرة وطبعه الرّيان من الحكمة و بين المحاماة العصرية من منافاة. (7)

"ثابر محمد إقبال على دعوته وجهاده ثلاثين سنة متتابعة شاهد خلالها بأم عينه ثمرات أعماله و نتائج دعوته المشكورة، فان مئات من المثقفين الجدد، ممن تخرجوا في أوربا، كادوا يزيغون عن جادة الحق ويضلّون سواء السبيل، لولا شعر محمد إقبال و افتتانهم ببلاغته و حكمه الخالدة". (8)

ويرى الأستاذ واليشر أن إقبال مثقّف بالقرآن والتصوف العربي الفارسي:

"إن سير محمد إقبال ينتهي إلى ثلاثة أحياز روحية، وهذه الأحياز الثلاثة هي منابع آثاره العظيمة، وهي حيز القارة الهندية، وحيز العالم الإسلامي، وحيز الفكر الغربي.

فمسلم كشميري الأصل، ومثقف بالقرآن والتصوف العربي– الفارسي، ونفس الوقت واقع تحت تأثير الفلسفة الغربية و مشاكلها المعقّدة". (9)

وكان إقبال لمّا سافر إلى إنجلترا في عام 1905م للدراسات العليا عن طريق البحر، مرّ بمصر و كتب في رسالة له مشيراً إلى لقائه بالشعب المصري:

"وأيقن أخيراً بأنّي مسلم، وكان يحفظ القرآن كله،

فلذلک قرأت بعض الآيات القرآنية، فسَر بذلک السرور و بدأ يقبّل يدي. ثم دلّ أصحاب الدكاكين الآخرين عليّ، فتحلقّوا بي وبدأوا يقولون: ماشاء اللّٰه، ماشاء اللّٰه. (10)

وكان ذلک أول ارتباط إقبال بالشعب المصري العربي في أرض مصر العربية.

وكان إقبال يرى معرفة اللغة العربية لا بدّية لفهم القرآن والإسلام. فلذلک نصح المسلمين بتعلّم اللغة العربية مراراً. فكتب في رسالة له مشيراً إلى حالة الشعب الهندي المسلم عامة.

"ومن سوء حظ مسلمي الهند أن علم اللغة العربية رفع من هذه البلاد. ولا يعوّلون على كلام العرب في تفسير القرآن، فلذلک يعبرّون "القناعة والتوكل" في هذه البلاد بما لا يوافق معناه بلغة العرب. كنت أنظر بالأمس في كتاب صوفي مفسر فكتب: المراد بالأيام في (خلق الأرض والسماوات في ستة أيام) "التنزّلات" يعنى في ستة تنزّلات. ولا يعلم هذا الشقي أنه لا يمكن ولن يكون معنى "اليوم" بالعربية هكذا. فان التخليق بالتنزّلات يخالف تذوق العرب وفطرتهم معنىً." (11)

وكان إقبال يتأسف على عدم توفر بعض الكتب النادرة المتعلقة بالقرآن في لاهور، كما أنه كان يشير إلى عدم توفر علماء اللغة العربية المدرّبين في أقسام العلوم التجريبية الخاصة. فكتب في هذا الصدد:

"هناک بعض الكتب الجيدة المتعلقة بالقرآن ألّفت باللغة

العربية ولكنها، مع الأسف، لا توجد في لاهور." (12)

وقال إقبال أيضاً:

إن مشكلة مؤرخ الثقافة الإسلامية في أكثر الأحيان ترجع إلى فقدان علماء اللغة العربية المدرّبين في مجالات وأقسام "العلوم" المتخصّصة. (13)

وكان إقبال يستيقن بأن العلوم الحديثة مبنيّة على أفكار النوابغ المسلمين الذين ألّفوا بالعربية في القرون الماضية، فقال في هذا الموضوع:

"وعندي شواهد كافية للإيقان بأنه يمكن اكتشاف الموارد الأصلية لمنهج ديكارت للبحث و طريقة بيكن الجديدة للبحوث بعد الوصول إلى أفكار وكتابات النقاد الإسلاميين للمنطق اليوناني في الماضي البعيد من التاريخ الإسلامي أمثال ابن تيميّة والغزالي والرازي وشهاب الدين السهروردي. ولكن لايخفى أن مواد الاستشهاد المتوفرة بهذا الصدد والمثبتة لهذا القياس العلمي لايمكن الاستفادة منها إلا لأصحاب الفضيلة في اللغة العربية الذين درسوا المنطق اليوناني والإسلامي والأوروبي دراسة خاصة." (14)

وكان محمد إقبال يطالع الكتب العربية المؤلّفة في المواضيع المختلفة من التفسير والحديث والفقه والسيرة والتاريخ والتصوف والشعر والنثر. وكان يستفيد من العلماء الراسخين في العلوم العربية والإسلامية في كثير من المعضلات، وعلى رأسهم المحدث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري والسيد سليمان الندوي وكذلك الشيخ عبدالله التونكي أستاذ

العربية بالكلية الشرقية بلاهور. وكان إقبال يشاهد أباه يعقد اجتماعاً أسبوعياً في بيته بسيالكوت يدرّس فيه عالم صوفي "فصوص الحكم" و "الفتوحات المكية" للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي (م 638، دمشق). (15)

فلما ذهب إقبال إلى بريطانيا للمشاركة في "مؤتمر المائدة المستديرة" حول مشاكل الهند السياسية، دعاه الشيخ فرزند علي، إمام جامع لندن، للغداء في رابع أكتوبر 1931م مع غيره من الزعماء. وكان منهم غلام رسول مهر والشيخ شوكت علي، وسر ظفرالله خان جودهري والحافظ هداية حسين و أبو القاسم فضل الحق و عبدالمتين جودهري. فعرّفهم الشيخ فرزند علي بجماعة من المسلمين الإنجليز حديثي الإسلام المقيمين في الأماكن القريبة المجاورة للمسجد. فتلا بعض الشباب والنساء والأطفال سور القرآن الكريم. فلم يكن نطقهم جيداً جداً، ولكن حمد إقبال ومن معه الله سبحانه على أن كلام الله الأخير كان جارياً على لسان الأمة الإنجليزية. وتأثر أهل المجلس خاصة بشاب إنجليزى عبدالرحمن هاردي. وقرأت طفلة إنجليزية ابنة السنة السادسة أو السابعة سورة الفاتحة، فمنحها إقبال جنيهاً جائزة لها. وخاطبهم إقبال خطابا موجزا مؤثرا بعد حفلة القراءة، فقال للمسلمين الجدد:

> "لاتحزنوا على قلّة عددكم، فان أربعمائة مليون من أهل التوحيد في العالم الإسلامي هم إخوانكم و أصدقاؤكم ومن أمتكم. وتوجد ثلاث من لغات أوروبا على قمة المجد والرقي، وهي الإنجليزية والفرنسية والألمانية، فاستيقنوا بأن للغة العربية التي هي لغة القرآن مستقبل منير مزدهر جداً. فتوجّهوا إليها واستفيدوا منها. (16)

ويدل ذلك كله على أن إقبال كان يقيم للغة القرآن والإسلام وزناً

كبيراً ويعتبرها من اللغات الراقية المتقدمة في العصر الحديث. ويصدّق قوله انتشار اللغة العربية في الدول العربية والإسلامية والأفريقية والأجنبية على أوسع نطاق كلغة رسمية و وطنية أو مادة تعليمية والاعتراف بها كلغة رسمية مع اللغتين الإنجليزية والفرنسية في منظمة المؤتمر الإسلامي و منظمة الوحدة الأفريقية والأمم المتحدة و غيرها من المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية. (17)

وكان محمد إقبال اشترك في "مؤتمر العالم الإسلامي" الذي عقد في القدس الشريف بإشراف مفتي فلسطين السيد أمين الحسيني بدأ من سابع ديسمبر 1931م. فخاطب إقبال أهل المؤتمر مساء اليوم الرابع عشر من ديسمبر 1931م باللغة الإنجليزية، وكان الأستاذ عبدالوهاب عزام قام بترجمة كلمته بالعربية مسايراً مع كلامه، فقال إقبال:

"مع الأسف لا أستطيع أن أبقى هنا إلى ختام المؤتمر.
وكذلك إني متأسف على أني لم أستطع أن أشارك كثيراً
في المناقشات لعدم مهارتي في المحادثة العربية. وأرجو أن
أزور الأماكن المقدسة الإسلامية و فلسطين التي هي أرض
الأنبياء مرة أخرى. وأهنّئكم بمناسبة روح الأخوة والمودّة
التي تجسّدت في المؤتمر من أول يوم. ويحب علينا أن
نرشد شبابنا إلى سبل السلام.
الإسلام في خطر من جهتين: من جهة الإلحاد ومن جهة
الوطنية. وإني لواثق بأن روح الإسلام تستطيع أن تهزم
كليهما. وليست القومية الأرضية أو الوطنية بشيء مذموم

في نفسها، ولكنها إذا جاوزت حد الاعتدال فمن المحتمل أن تولد الإلحاد والمادية. أنا أنصحكم بأن تكونوا مسلمين في أعماق قلوبكم. أنا لا أخشى أعداء الإسلام بل أخاف من (وضع) المسلمين. وأذكر حديثاً جميلاً من الأحاديث النبوية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أنا حظكم من الأنبياء وأنتم حظي من الأمم.

فكلّما فكرت في ذلك، أطرقت رأسي خجلاً و ندامة. هل نحن المسلمون نستحق اليوم أن يفتخر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إن مسئوليات المؤتمر لكبيرة، وأمامه مشاريع هامة، ولاسيّما إحياء سكة الحجاز الحديدية وإنشاء جامعة إسلامية. ولكن إذا عملنا بروح الإسلام والأخوة الصادقة، وصلنا إلى أهدافنا.

إذا رجعتم إلى أوطانكم، بثوّا روح الأخوة في كل مكان وتوجهوا إلى شبابكم خاصة. إنّ مستقبلنا مرهون و مرتبط بمساعيهم خاصة. وأشكر الله على أني وجدت في شباب العرب روحاً لم أر في مكان إلاّ في شبّان إيطاليا. إن الشبّان العرب تملأ قلوبهم روح صادقة من علو المنزلة.

وأعتقد بأن مستقبل الإسلام مرتبط بمستقبل العرب، ومستقبل العرب معوّل على وحدتهم. إذا اتحد العرب، فاز الإسلام. ويجب علينا أن ننفق جميع قواتنا في سبيل ذلك.

وأدعو الله أن ينجحنا. (18)

وغادر اقبال القدس الشريف في 15 ديسمبر 1931 متوجّهاً إلى بلاده.

فعاد إلى لاهور في 30 ديسمبر 1931م، فرحّبه الشعب ترحيباً حاراً. (19)

وكانت كوّنت في المؤتمر سبع لجان للتوصيات والمناقشات بالإضافة إلى لجنة الاقتراحات لإعداد القرارات المتعلقة بالشؤون العامة، وكانت هي:

1- لجنة سكة الحديد بالحجاز
2- لجنة الدعاية والنشر
3- لجنة الدعوة والإرشاد
4- لجنة جامعة المسجد الأقصى
5- لجنة الأماكن المقدسة والقدس الشريف
6- لجنة القانون الأساسي
7- اللجنة المالية... (20)

وكانت "لجنة جامعة المسجد الأقصى" أوصت بإنشاء جامعة إسلامية بالقدس الشريف في مرحلتين، أولاهما توفير الموراد المالية لتأسيس الجامعة، وثانيتهما تدوين المقررات الدراسية. فوافق أعضاء المؤتمر على توصيات لجنة الجامعة، ولكنّ إقبال كان لا يؤيّد إنشاء جامعة للعلوم الإسلامية المحدودة فقط على نمط جامعة الأزهر في ذلك الوقت. فاقترح إنشاء جامعة لتعليم العلوم الدينية والدنيوية معاً طبقاً لمقتضيات العصر الحديث، كما أنه كان لا يفضّل إنشاء هذه الجامعة بمدينة القدس التي لم تكن تحتل مكانة مركزية مثل القاهرة والطهران و دمشق والمدينة المنورة، بالإضافة إلى الخطر الصيهوني المهدّد لهدوء المدينة. ولكنه لم يصرّ على رأيه واتفق مع الآخرين في نهاية الأمر. وكان ساعد المفتي أمين الحسيني و محمد علي باشا لما زارا

الهند لجمع التبرّعات لجامعة المسجد الأقصى و أيدّهما تائيداً كبيراً. (21)

والجدير بالذكر أنّ إقبال لمّا عاد إلى لاهور، أصدر بيانه في الجريدة اليومية الإنجليزية "الجريدة المدنية والعسكرية" (Civil & Military Gazette) في أول يناير 1932م، فتحدّث فيه عن المؤتمر قائلاً:

"نجح المؤتمر نجاحاً باهراً رغم بعض الخلافات الحزبية المحلّية. واشترك في هذا الاجتماع العظيم ممثلوا أغلبية البلدان الإسلامية و أظهروا حماساً بالغاً تجاه الأخوة الإسلامية و تحرير البلدان الإسلامية. والعرب ولدوا على الخطابة ولعلّها من خصائص لغتهم. وكنت عضواً في كثير من اللجان الفرعية المكوّنة لمناقشة بعض الاقتراحات، ولكن من سوء حظي لم أستطع أن أشترك في جميعها. وكنت خالفت إنشاء جامعة في القدس على نمط جامعة الأزهر القديمة المتخلّفة، وأصررت على إنشاء الجامعة المقترحة على الأسس الجديدةً. فلا أعلم كيف ظُنّ بي خطاءً أنني خالفت إنشاء جامعة كلّ نوع في القدس، وقد أرسلت إلى وكالة "رايتر" برقية بهذا الصدد.

والحقيقة أنّي أتمنّىٰ شديداً أن تؤسّس بالبلدان العربية أكثر من جامعة لنقل العلوم الجديدة إلى اللغة العربية التي هي اللغة الوحيدة الغير الأوروبية استطاعت أن تسايرتطور الفكر في العصر الحديث. (22)

و وافق أعضاء المؤتمر، ومنهم محمد اقبالؒ، على اقتراح محمد علي

باشا، ضمن مناقشة إنشاء الجامعة الإسلامية، يركز على أهمية إعداد قاموس اللغة العربية الحديثة، فقال:

"سوف يكون الحجر الإكمالي لنهضتنا. وهذه اللغة واسعة جداً من الناحية الأدبية والتعليمية ولكن لا توجد بها مصطلحات العصر الحديث. وستكون مصر مركزاً جيداً لمثل هذه المجهودات العلمية". (23)

ونجد الآن كثيراً من المعاجم والقواميس العربية في المواضيع الجديدة امتثالاً لفكرة مؤتمر القدس المذكور.

ولقي ممثّل "الأوقات الشرقية" (Eastern Times) محمد إقبال في القدس. فكتب مشيراً إلى معرفة إقبال باللغة العربية والعلوم المتنوّعة:

"لقيت بنفسي العلامة محمد إقبال، فهو يعرف اللغة العربية جيّداً. وعلمت بأنه ألّف كتباً هامة عن فلسفة العجم و شعر فارس. وتأثرت كثيراً بالشعور الإسلامى الذي يتدفق في قلبه. وكانت أفكاره حول قوات الإسلام المتطورة والإصلاحية تقوية للإسلام. فقال العلامة: سيكون الإسلام آخر ملجأ ومأوى للعالم كله. إذا أسرع البلدان الغربية المتحضرة إلى الاعتراف بهذه الحقيقة، لكان خيراً للغرب وللشرق. (24)

وانتخبت "اللجنة التنفيذية" لتوصيات و قرارات المؤتمر بعد ثلاثة أشهر من انعقاد المؤتمر. وكان من أعضائها المنتمين إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي كمايلي:

الهند: العلامة محمد إقبال، والشيخ شوكت علي، والشيخ محمد شفيع داؤدي، والشيخ غلام رسول مهر.

مصر: عبدالرحمن عزام بك عضو البرلمان سابقاً، والعلامة سيد رشيد رضا، رئيس التحرير لمجلة "المنار" بالقاهرة، ومحمد علي علوبة باشا، وزير الأوقاف سابقاً.

فلسطين: الحاج توفيق أفندي حماد عضو البرلمان للدولة العثمانية سابقاً وعضو الوفد العربي والفلسطيني، والسيد عوفي بك عبدالهادي المحامي، أمين المجلس التنفيذي العربي وعضو الوفد العربي والفلسطيني.

العراق: الشيخ عبدالقادر أفندي المظفر، عضو المجلس التنفيذي العربي، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء مجتهد شيعة العراق.

شرق الأردن: سليمان باشا، الممثّل.

إيران(فارس): السيد ضياء الدين الطباطبائي، رئيس الوزراء و وزير الداخلية الإيراني سابقا.

سوريا و لبنان: شكري القوتلي، ممثّل المجلس الوطني بدمشق، وصلاح الدين بك (مهندس الزراعة) نائب الرئيس للمجلس الإسلامي في بيروت، والأمير سعيد الجزائري حفيد عبدالقادر الجزائري، رئيس مجلس الدفاع عن سكة الحجاز الحديدية.

طرابلس (ليبيا): الأستاذ بشير بك سعداوي، رئيس المجلس التنفيذي في

طرابلس، برقاوية.

القفقاز: الأمير سعيد شامل، رئيس الدفاع الوطني بالقفقاز الشمالي.

تونس: العلامة عبدالعزيز الثعالبي (زعيم تونس).

اليمن: العلامة الشيخ محمد الدين محمد زيادة، أمير قصر سعيد وممثّل إمام اليمن.

تركستان: عياض إسحاقي، صاحب الجريدة "ملي يول".

يوغوسلافيا: الشيخ عالم آفندي مفيح، رئيس العلماء بالبوسنة.

جاوا (إندونيسيا): عبدالقادر المذكر، ممثّل جاوا و جزائر شرق الهند. (25)

وكان إقبال حضر المؤتمر الإسلامي بالقدس معهم جميعاً، فالتقىٰ بهم واستمع لهم و تبادل الآراء والأفكار معهم و مع غيرهم من علماء و قادة الأمة العربية والإسلامية في مشارق الأرض و مغاربها. ومنهم حسن خالد باشا رئيس الوزراء لشرق الأردن سابقاً، وأحمد حلمي باشا، مدير سكة الحجاز الحديدية سابقاً، والأستاذ عبدالوهاب النجّار المصري، و رياض بک الصلح، و موسى جارالله، وخير الدين الزركلي. (26)

وكلّهم كانوا يتحدّثون باللغة العربية الفصحى لغة الدين والأمة ولغة الارتباط بين المسلمين في كل عصر و مصر.

ويدلّ ذلک كلّه على ارتباط إقبال بلغة القرآن والإسلام والناطقين بلغة الضاد من العرب والمسلمين.

إقبال في البلاد العربية

زار محمد إقبال اليمن و مصر و فلسطين من الدول العربية في حياته، وكان قلبه معلّقاً دائماً بالحرمين و أرض الحجاز. زار فلسطين للمشاركة في "مؤتمر العالم الإسلامي" بالقدس في ديسمبر 1931م. فقام بزيارة الأماكن المقدّسة بالقدس الشريف و بيت لحم والخليل (حبرون) و شونة و رام الله وغيرها. وعلى رأسها المسجد الأقصى وقبور الأنبياء عليهم السلام. (27)

وكان يستطيع أن يزور الحرمين الشريفين و أرض الحجاز لمّا كان في مصر و فلسطين، ولكنه كره أن يزور الحرمين زيارة عابرة ضمن زياراته للبلدان المتنوّعة. فلّما عاد من مؤتمر العالم الإسلامي بالقدس ووصل من بومباي إلي لاهور في 30 ديسمبر 1931م، قال له أخوه الكبير الشيخ عطاء محمد: يا إقبال ذهبت إلى فلسطين، وكنت قريباً من المدينة المنورة، فكان عليك أن تزور قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأجابه إقبال قائلاً:

يا أخي الكبير: كيف زيارة قبر الرسول عليه السلام والحال
أنني كنت سافرت إلى إنجلترا على حساب حكومة الهند،
وذهبت إلى فلسطين للمشاركة في اجتماع المؤتمر
الإسلامي عائداً من إنجلترا؟ فمرّت بي فكرة زيارة دار
الحبيب لقربها، ولكن سدّ طريقي شعوري بأن زيارة الحرم
النبوي لا تصلح لي إلا باخلاص نيتي له وحده وبزادي.
وظننت أن حضوري قبر النبى عليه السلام بالاستفاده من
سفري للهدف الدنيوي يخالف آداب المحبة له عليه
السلام. وقدنويت الحج و كذلك زيارة قبر النبي عليه

السلام باذن اللّٰه تعالى و توفيقه في المستقبل. (28)

ولكن لم يكتب لإقبال بعد ذلک أن يسافر للحج والزيارة حتى توفّي في 21 أبريل 1938م ودفن بلاهور، وكان قلبه معلّقاً بالحرمين الشريفين دائماً، وله أجر نيته وعشقه و حبّه للّٰه ولرسوله.

إقبال في اليمن

وكان اقبال ركب سفينة "ملوجاً" من ميناء بومباي في 12 سيبتمبر 1931م متوجها إلى لندن، للمشاركة في "مؤتمر المائدة المستديرة" حول قضايا الهند. فوصل إلى ميناء عدن بأرض اليمن في اليوم السادس عشر من سيبتمبر 1931م. و زار عدن بعد اثنين و عشرين عاماً مرة ثانية. فكتب في رسالته المكتوبة إلى صديقه في 21 سيبتمبر 1931م من سفينة ملوجا، واصفاً عدن:

"لم أرد أن أذهب إلى الشاطئ، ولكن جاء شاب من أهل مدينتنا اسمه الشيخ عبداللّٰه، وهو محامي هنا، إلى السفينة وذهب بنا مصرّاً على ذلک. فركبنا زورقاً و نزلنا على الشاطئ. ثم ركبنا السيارة ووصلنا إلى بيته. فقدّم الطعام من الديک والأرز والبلاؤ والكباب والقورمة وغير ذلک. ثم شربنا القهوة اليمنية السوداء المرّة السائغة، ولقينا بتاجر إيراني الآغا فكري. والآغا فكري الإيراني شاب عاقل نشيط، طلق اللسان جداً، وهو تاجر القهوة اليمنية. فأعطاني عقيقاً يمانياً للذكرى وقت الوداع.

وكنت رأيت عدن قبل اثنين و عشرين عاماً، فلم تک شيئًا

حينئذ. والآن هي مدينة مزدهرة راقية. وسكان حضر موت من العرب هم سمسارون هنا. وكذلك يوجد كثير من البنجابيّن وأصحاب الدكاكين من السند. والصوماليون من المسلمين هم نشيطون مجتهدون جداً. وأخبرنا الشيخ عبدالله بأن منهم من يتكلم من ثماني إلى عشر لغات بلا تكسّر. ويوجد في عدن نادي أدبي للشبان العرب، ولكن لم نستطع لقاء أعضاء النادى المذكور بسبب الليل. وعلى كل حال تركنا بيت الشيخ عبدالله في الساعة العاشرة والنصف ليلاً و وصلنا إلى سفينتنا قريباً من الساعة الحادية عشرة. فغادرت السفينة الميناء في الساعة الحادية عشرة والنصف. (29)

وكان اقبال دعي إلى قنصلية أفغانستان في بومباي قبل ركوبه السفينة، فكتب عن ذلك:

"دعانا سردار صلاح الدين السلجوقي قنصل أفغانستان في بومباي بعيد وصولنا إليها. فكان الاجتماع في بيته مريحاً. إنه يعرف الآداب العربية والفارسية تماماً كما أنه خبير بالشعر العربي الحديث. وكان يعترف بعظمة الخاقاني من بين شعراء الفارسية خاصة. وله يدطولى في العلوم الدينية أيضاً. فكان قاضياً على مدينة هرات لحقبة من الزمان. وأسمعنا في بيته ميرزا طلعت يزدي المقيم في بومباي منذ عشرة أعوام أبياته الفارسية باللهجة الإيرانية. (30)

إقبال في مصر

وكانت سفينة ملوجا التي ركبها إقبال من بومباي متوجهاً إلى إنجلترا، وصلت إلى ميناء سعيد (بورت سعيد) في 20 سيبتمبر 1931م وفي الساعة الثالثة ليلاً. فأيقظه طبيب مصري الطبيب سليمان، فالتقى به. وجاء بعض شباب مصر من أعضاء "جمعية الشبّان المسلمين" لزيارة إقبال، فَسُرّ بلقاء هؤلاء الشبّان المتحمسين. ولقيته ابنة عقيد مصري كانت ركبت السفينة متوجهة إلى إنجلترا لإكمال دراساتها في علم النبات، وقد عاشت بها أربع سنين من قبل. وكانت تتكلم اللغة الإنجليزية بلهجة إنجليزية. وكان محامي القاهرة الشهير لطفي بك بلّغ سلامه بلسان الطبيب سليمان و وجّه إلى إقبال دعوة لزيارة القاهرة عائداً من بريطانيا. وكان لطفي بك جاء إلى ميناء بورسعيد قبل أيام حسب برنامج إقبال السابق وفتّش عنه في سفينة "رنبورة". ولكنّ إقبال كان لم يستطع ركوبها لإصابته بالحمّى في لاهور ولتأجيل سفره لأيام معدودات.

وكان الشباب المصريون سألوه عن دور مسلمي الهند السلبي في حركة تحرير الهند كما كانوا يظنون بهم متأثرين بدعاية غير المسلمين من الهنديين. فألقى إقبال محاضرته الطويلة شارحاً لهم مشكلة الهند السياسية وموقف المسلمين الهنديين منها لصيانة حقوقهم من الأغلبية الهندوسية. فاقتنعوا بكلامه واطمئنوا و كتبوا بعض النقاط والمقتبسات من كلامه. وجاء حكيم محمد صديق الجالندهري لزيارة إقبال كممثل "وكالة رويتر للأنباء". وكان هندياً نشيطاً تزوّج مصرية. وكان يجيد اللغة العربية كما أنّه كان أميناً لجمعية "راول" بمصر.

وغادرت السفينة الميناء في الساعة السادسة والنصف صباحاً. ومازال الشباب المصريون جالسين في غرفة إقبال إلى الصباح، ثم ودّعوه وأرسلوا حزمتي السيجارات من الشاطئ هدية له. ومن مقتسبات محاضرة إقبال أمام شباب مصر كمايلي:

"إن الهنادكة يخشون أن مسلمي الهند سيسيطرون على الهند بمساعدة الأفغان والبلوش ومسلمي إقليم سرحد. وهل يمكن أن يسلّم المصريون بلادهم إلى الأتراك بعد استقلالها لكون الأتراك مسلمين. وبالإضافة إلى ذلك إن مبدأ اللاعنف (Non- Violence) للكونجرس (الرابطة الوطنية الهندية) ساري المفعول تجاه سلاح الحكام الإنجليز فقط. وقد اتضح من أحوال كانبور و ميرزا پور وسرى نغر أنهم يقاتلون المسلمين تكذيباً لفلسفتهم". (31)

"إن المصريين يظنون أن مسلمي الهند لسدّ في سبيل تحرير الهند، فلا صدق في ذلك. إذا كان تمكّن هذا الفكر في قلوب المصريين، فكان سبب ذلك أنهم لم يحاولوا تفهّم سياسة الهند. فلذلك أريد أن يزور أصحاب الجرائد المصرية بلاد الهند لدراسة ظروفها. ومن ناحية أخرى، إن الدعاية ضد المسلمين المصريين بالهند تقنع مسلمي الهند بأن مسلمي مصر قد تركوا اللّٰه والقرآن والإسلام، والحال أنها دعاية كاذبة شريرة." (32)

وكان العلامة محمد إقبال قدّم فكرة دولة موحّدة تضمّ مناطق

الأغلبية المسلمة في شمال الهند داخل الحكم البريطاني أو خارجه، كما أنه كان يؤيد انضمام ولاية جمون و كشمير إليها، وكذلك صيانة حقوق الأغلبية المسلمة في ولاية بنغال المتحدة عاصمتها كلكتة. فقال في خطبته الرئيسية التي ألقاها في الاجتماع السنوي للرابطه المسلمة الهندية (Al India Muslim League) المنعقد في مدينة إله آباد بتاريخ 29 ديسمبر 1930م:

> أريد أن أرى بنجاب و إقليم سرحد الشمالي الغربي و السند و بلوجستان في صورة دولة موحّدة. ويبدو أن تأسيس دولة موحّدة منظّمة بالهند الشمالية الغربية، داخل حدود الملكية البريطانية أو خارجها، هو المنزل النهائي لمسلمي الهند أو لمسلمي الهند الشمالية الغربية على الأقل. (33)

فلمّا كان إقبال في إنجلترا (من 27 سيبتمبر إلى نوفمبر 1931م) جاء لزيارته جودهري رحمت علي و خواجه عبدالرحيم و غيرهما من الطلبة المسلمين من جامعة كامبريج إلى لندن. فأخبروا إقبال بأنهم اختاروا اسم "باكستان" لدولته المسلمة المقترحة، وهو مركب من الحروف الابتدائية في أسماء كشمير وأقاليم الأغلبية المسلمة الثلاثة (بنجاب و أفغانية و كشمير و السند) تليها كلمة "تان" من اسم أقليم "بلوجستان". وكان إقبال سقيماً في ذلك اليوم، فأمر الطلاّب بوضع حروف "باكستان" المختلفة حول فراشه بعد كتابتها على أجزاء البطاقة المنفصلة ليفكّر في هذا الإسم. (34)

ويلخّص الأستاذ محمد سويسي من كلية الآدب بالجامعة التونسية في تونس فكرة إقبال الباكستانية قائلاً:

وأما محمد إقبال فقد تحدث منذ التاسع والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) 1930م في اجتماع لحزب الرابطة الإسلامية في إله آباد معلناً عين المعنى مصرحاً أن المسلمين والهندوس يشكلان أمتين متباينتين، مختلفتين تماماً. فطالب لأول مرة بإنشاء دولة إسلامية يجمع بين البنجاب والمقاطعات الشمالية والسند و بلوجستان. واختارلها اسم "باكستان" معبّراً أهمية للحروف. فباكستان من جهة بمعنى (المكان الطاهر) و حروفه، من جهة ثانية، رموزاً لما يلي: الباء رمز للبنجاب (وطن إقبال) والألف إقليم الحدود بين الهند و أفغانستان والكاف لكشمير والسين للسند و تان لبلوجستان.

هذا تلخيص رأي محمد إقبال في مستوى الوحدة الوطنية الضيّقة. ولم يكتب له أن يعيش الساعة التي فيها تحقّقت آماله و أحلامه. توفّي العلامة محمد إقبال صاحب فكرة الوحدة الباكستانية في الحادي والعشرين من أبريل 1938م، بينما لم يصدر "قرار لاهور" التاريخي القاضي بإقامة وطن منفصل للمسلمين في شبه القارة الهندية إلاّ في شهر مارس 1940م. ولكن إقبال، حسب تعبير طٰه حسين، لم يكن يكتفي بأن يكون هندياً يفكر دائماً في أن يستقلّ المسلمون بالباكستان، وإنما كان حريصاً على أن يكون كذلك، وعلى أن يكون مسلماً صادق الإسلام و مسلماً خالص التصوف. (35)

ويـدلّ ذلک على موقف إقبـال مـن استـقـلال الهند و مسلمي الهند ومحاولاته لإقناع العرب ولا سيّما المصريين بذلک.

والـجدير بالذكر أن منطقة باكستان الواسعة التي شاء إقبال انفصالها عـن الهـند في بداية الثلاثينيات هي المنطقة الوحيدة في شبه القارة الهندية التي فتحها جيوش العرب المسلمين في القرن الهجري الأول وفي الخلافة الأموية الـعـربية. فـفتحت مكران من منطقة بلوجستان في زمن الخليفة معاوية بن أبي سـفيـان رضي الله عنهما (41-60هـ) سنة 44هـ، كـمـا فتحت السند من ديبل (كـراتشـي) إلـى ملتـان (بـنجاب) في خلافة الوليد بن عبدالملک بن مروان (86-96هـ) بقيادة مـحـمـد بن القاسم الذي غزا بلاد السند سنة 92هـ بأمر من عمّه الحجاج بن يوسف أمير العراق، فتوغّل في ثلاث سنين إلى ملتان.

"فتـح الـمسـلـمـون القسم الأكبر من إيران، زمن الخليفة الثـانـي عـمر بن الخطاب، ولم يتقدّموا إلى أبعد من حدود مـكـران إلا زمـن الـخـلـيـفة مـعـاوية بن أبي سفيـان حيث استـولـوا عـلى القسم الشرقي من بلوجستان، وعلى إمارة قـلات التـي كـانـت تابعة للسند، وضمّوها إلى مكران، ثم تقدموا فاستولوا على قندهار وعلى كابل و وقفوا عند هذا الحد." (36)

وكان الحجاج، أمير العراق، حاول فتح السند بإرسال الجيوش إليها مرّتين بعد أن أذن له الخليفة عبدالملک بن مروان (65-86هـ) فلم يتمكّن من فتحها إلا في خلافة الوليد بن عبدالملک سنة 92هـ.

"فـعهد الحجاج بهذه المهمة إلى محمد بن القاسم وهو في

السابعة عشرة من عمره. فسار هذا القائد بعزيمة الشباب وحكمة الشيوخ، واستولى على السند. ثم سار متقدماً في البلاد مدة ثلاث سنوات حتى بلغ حدود كشمير و إمارة قنوج." (37)

وبقيت هذه المنطقة الممتدة من بلوجستان والسند إلى ملتان، منطقة العربية والعروبة والإسلام تحت حكم العرب المباشر و كجزء الخلافتين العربيتين الأموية والعباسية إلى ما بين ثلاثة وأربعة قرون. فصارت العربية لغة الدوائر الرسمية والأسواق واستخدمت الأبجدية العربية لكتابة اللغة السندية وجميع اللهجات المحلية كما أصبحت اللغات المحلية مليئة بالكلمات والمصطلحات العربية. وكانت هذه المنطقة الواسعة ترتبط بالخليج العربي عن طريق مكران و مسقط والبحر العربي، و بالشرق الأوسط عن طريق فارس و بآسيا الوسطىٰ و تركستان عن طريق كشمير و أفغانستان.

وكانت اللغة العربية لغة الشؤون التجارية في ولاية المنصورة مع اللغة السندية كما كانت شائعة معها في أسواق المنصورة و ديبل و ملتان كلغة المحادثة، و ذلك في القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) حسب شهادة ابن حوقل والمقدسي. (38)

وكان المؤرخون العرب يطلقون اسم "السند" على جميع المناطق التي فتحها المسلمون في شبه القارة. وكانت شبه القارة عندهم مقسّمة إلى جزئين. فكانوا يسمّون المنطقة الممتدة من ديبل إلى جبال جهلم "السند" كما أنهم كانوا يطلقون على جميع اللهجات في هذه المنطقة اسم "اللغة السندية" بلا تمييز." (39)

أما المنطقة الممتدة من لاهور إلى بيشاور و كشمير، ففتحها السلطان محمود الغزنوي، و صارت "بنجاب" جزواً من الدولة الإسلامية مباشرة بعد أن ضمّها محمود إلى سلطنة غزني في أفغانستان. و تمّ ذلک إلى سنة 1022م / 413هـ. فبدأت لاهور تزدهر كمدينة إسلامية مركزية في الهند الشمالية. (40)

وكانت اللغة العربية لغة رسمية للحكومات الإسلامية عامة إلى بداية عصر الأسرة الغزنوية. ثم كانت العربية لغة علمية و دينية أيضاً. (41)

ويدل ذلک كله على أن منطقة باكستان الواسعة التي شاء إقبال انفصالها عن الهند و استقلالها، ترتبط بالعالم العربي والشرق الأوسط و آسيا الوسطىٰ. وهي منطقة العروبة لغة و أبجدية و ديناً و ثقافة من القرن الهجري الأول إلى عصر إقبال، بخلاف غيرها من مناطق شبه القارة الهندية. والعروبة والإسلام بها صنوان لا يفترقان. وكانت اللغة العربية ولا تزال لغة دينية للأغلبية المسلمة بها يتعلّمونها لأداء الصلاة و قراءة القرآن والحديث وللحاجات الدينية الأخرى كما أن جميع اللغات واللهجات الباكستانية، وعلى رأسها اللغة الأردية، لا تزال تكتب بالحروف العربية و تتأثر باللغة العربية إلى حد كبير. ولا شک أن اللغة الفارسية (998-1857م) ثم اللغة الأردية (بعد 1857م) حلّت محلّ اللغة العربية كلغة رسمية و شعبية، ولكنهما كانتا ولا تزالان تكتبان بالأبجدية العربية وهما مليئتان بالكلمات والمصطلحات العربية إلى حد كبير، كما قيل للفارسية، و يصحّ للأردية إلى حد كبير:

"تكتب بالحروف العربية و تضمّ في معجمها أكثر من
سبعين بالمائة (70%) من المفردات العربية". (42)

إقبال في الإسكندرية و القاهرة

ركب إقبال مع غلام رسول مهر والشيخ شفيع داؤدي سفينة "فيكتوريا" من ميناء "براندزي" بعد الظهر في 29 نوفمبر 1931م. فدخلت السفينة ميناء الإسكندرية بعد أربعين ساعة في التاسعة صباح أول ديسمبر 1931م. فاستقبلهم أعضاء "جمعية الرابطة الهندية" بقيادة أمينها حكيم صديق محمد نارو، و أعضاء، "جمعية الشبّان المسلمين" بمصر، كما كان الشيخ شوكت على أخو محمد علي جوهر والسيد زاهد علي والحافظ عبدالرحمن وصلوا الإسكندرية قبل وصولهم إليها، فحضروا الميناء. فاستقبلهم أولاً رجال الأمير عمر طوسون. وكان أعضاء "جمعية الشبان المسلمين" أخذوا الرايات في أيديهم، فرفعوا أصواتهم بالترحيب والتكبير وصوّر المصورون و قابلهم ممثلوا الجرائد.

فذهبوا إلى القصر الملكي أولاً ولا قوا كبير أمناء القصر للملك فؤاد، و وقعوا في سجل الزائرين. ثم ذهبوا إلى دار الأمير طوسون ولكنه لم يكن في الإسكندرية حينئذ. فتجولوا في المدينة قليلاً. ثم وصلوا إلى مكتب "جمعية الشبّان المسلمين" في الساعة الثانية عشرة ظهراً. وجاء ممثلوا الجرائد في الساعة الواحدة لمقابلة الضيوف. وكان أصحاب العلم والفكر وأعضاء الجمعية استفادوا من إقبال و زملائه أكثر من ساعتين. ثم ودّع أعضاء الجمعية إقبال و زملائه في محطّة الإسكندرية وفي الساعة الثالثة بعد الظهر. فذهبوا بالقطار إلى القاهرة على بعد ثلاث ساعات و نصف مسيراً بالقطار. (43)

ووصل إقبال و زملائه إلى محطّة القاهرة بالقطار في الساعة السادسة والنصف مساء اليوم الثاني من ديسمبر 1931م. فاستقبلهم جمع كبير من

سكّان القاهرة. وعلى رأسهم الدكتور عبدالحميد سعيد بك عضو "جمعية الشبّان المسلمين" وعضو "البرلمان المصري" و سيد رشيد رضا صاحب "المنار" و ميرزا مهدي بك رئيس "الجماعة الإيرانية" و أعضاء "جمعية الرابطه الهندية" بالقاهرة، الشيخ محمود أحمد العرفاني والمعلم إمام الدين السيالكوتي، و خورشيد عالم و أحمد حسين والشيخ محمد إسماعيل، وطلاب جامعة الأزهر الهنديون.

فأقام إقبال و غلام رسول مهر في "فندق ماتروا بوليس" بالقاهرة. وأكلا العشاء في بيت الدكتور عبدالحميد سعيد بك. فلقي إقبال هناك بالشيخ مصطفى المراغي، شيخ الأزهر، ومفتي الأزهر محمد علي باشا وميرزا مهدي بك و سليمان فوزي، رئيس التحرير لجريدة "كشكول" و"العز" وغيرهم من أعلام مصر والقاهرة. ثم رجع إقبال إلى فندقه في الساعة الحادية عشرة ليلاً. (44)

وزار اقبال "جامعة الأزهر" بالقاهرة. وكان أخبر شيخ الأزهر الأستاذ مصطفى المراغي عن رغبته في زيارة جامعة الأزهر برسالة كتبها إليه قبل قدومه القاهرة. فوصل إقبال إلى جامعة الأزهر صباح اليوم الخامس من ديسمبر 1931م بسيّارة السّيد محمد ماضي أبي العزائم أحد مشائخ القاهرة البارزين. وكان معه غلام رسول مهر والشيخ محمود أحمد العرفاني. فاستقبلهم المراقب العام للجامعة السيد محمد خالد الحسنين. فاستمع إقبال قليلاً لدروس الحديث والتفسير والمنطق بالجامعة، وكان الطلاّب يجتمعون دائماً بالرواق يدرّسهم مدرسوا الأزهر.

ثم ذهب إقبال مع السيد خالد إلى "الجامعة العربية" المؤسّسة لتعليم

طلاّب الأزهر طبقاً لمقتضيات العصر الحديث. فشاهد إقبال تعليم الطبيعيات والكيمياء والعلوم الجديدة الأخرى بها. و قرأ أستاذ بها قصيدة عربية طويلة في مدح إقبال. و رفعت الطلاّب أصواتهم بالهتافات: "عاش الدكتور إقبال" و"عاش الشاعر الهندي" و "عاش الزعيم الهندي".

فلمّا خرج إقبال ومن معه من الجامعة العربية، علم بأن الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر منتظر لهم خارج مكتبه. فاستقبلهم و رحّب بهم ترحيباً حاراً. فعبّر إقبال عن مشاعره و أفكاره حول الأزهر في كلمته الموجزة قائلاً:

"الطريق نفس الطريق ولكن القافلة جديدة، وإذا لم تراعوا ظروف القافلة الجديدة و حاجاتها، لم تنجحوا في نيل الهدف المطلوب.

ومنحت الجامعة بعض الكتب لإقبال وغيره من الضيوف. ثم ودّعه شيخ الأزهر توديعاً." (45)

وممن زار إقبال أو لقيهم إقبال من رجال العلم والفكر والسياسة والصحافة وغيرهم من أعلام مصر والقاهرة، الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر، والسيد محمد ماضي أبو العزائم من مشائخ القاهرة و صوفية مصر البارزين، و مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الوفد، و محمود فهمي النقراشي، و وليم بك عبيد زعيم الأقباط و وزير المالية في وزراة النحاس، وأحمد زكي باشا شيخ العروبة، ولطفي بك جمعة المحامي الشهير، والأستاذ عبدالوهاب عزام باشا مترجم دواوين إقبال بالعربية و أول المعرّفين به بين الناطقين بلغة الضاد، والدكتور عبدالرحمن شهبندر زعيم تحرير سوريا من فرنسا والمقيم بالقاهرة بعد خروجه من السجن، و منير الحفني و أخوه

المحامي محي الدين الحفني من سوريا، وعلي عبدالرازق مؤلف "الإسلام وأصول الحكم" المغضوب عليه من قبل العلماء الراسخين، و أخوه محمود باشا عبدالرزاق، و محمود باشا رئيس حزب الأحرار، و محمد علي باشا، وجعفر والي باشا، والسيد خشبة باشا، و مصطفى بك عبدالرزاق، والدكتور منصور فهمي، و أسعد بك لطفي، و فؤاد بك سليم، والدكتور محمد حسين هيكل رئيس التحرير لجريدة "السياسة" و ميرزا مهدي بك الإيراني، والشيخ محمود أحمد العرفاني، و أحمد جمال باشا الغزي، و سفير العراق بمصر. وكان صدقي باشا رئيس وزراء مصر دعاهم لزيارته ولكنهم لم يستطيعوا أن يلبّوا دعوته لقلّة الوقت.

ومن الذين عرفوا إقبال بالقاهرة عبدالقادر حمزة رئيس تحرير "البلاغ"، و رؤساء التحرير لكل من "المقطم" و "الهلال" و "كوكب الشرق" و "كشكول" و "العز" و "السياسة" و "المنار" وجهره نما" و"الجهاد". وكان "الاتحاد" جريدة "حزب الاتحاد" و "السياسة" جريدة "حزب الأحرار" و "البلاغ" و "الجهاد" لحزب الوفد و "الأهرام" و"المقطم" للأقباط والنصارىٰ بدون الانتساب إلى حزب مخصوص. (46)

وتحدّث إقبال في حفلات مختلفة بالقاهرة و ناقش القضا يا و تبادل الآراء والأفكار، ففهم و أفهم. وألقى كلمته في حفلة "جمعية الرابطة الهندية" المؤسّسة في 1925م بفندق "ماترو بوليتان" التي أقيمت إكراماً له. وقد شارك فيها خمسون شخصية من رجال العلم والفن البارزين من أهل مصر ومن أهل الهند المسلمين والهندوسيين. وعلى رأسهم أحمد زكي باشا والدكتور عبدالرحمن شهبندر و منير الحفني ولطفي بك جمعة و محمود

العرفاني رئيس تحرير "جهره نما" وممثل "البلاغ" وغيرهم. فقال إقبال في نهاية الحفلة بعد أن شكر أعضاء الجمعية:

"سررت بالاستماع إلى أحوال خدمات الجمعية كما بيّنها حكيم صدّيق محمد. وأرجو أن تبلغ "جميعة الرابطة الهندية" إلى قمة المجد، بل ستكون أداة الارتباط بين الهند و مصر. و إن العلاقات بين مصر والهند الآن وثيقة جداً. وكان العلاقات الهندية الإيرانية أوثق قبل ذلك، بل الحضارة الهندية متأثرة بالحضارة الإيرانية. فان "جمعية الرابطة الهندية" لهي جمعية لابدّية. وهي سلسلة الا تصال بين مصر والهند. وكلّما توثقت، كان خيراً لنا." (47)

وخطب إقبال في الساعة السابعة مساءً من رابع ديسمبر 1931م في مكتب "جمعية الشبان المسلمين" باللغة الإنجليزية. وكانت القاعة مزدحمة بالمستمعين أكثرهم من الأساتذه و رجال العلم، فقام الأستاذ عبدالوهاب عزام بتعريف إقبال امتثالاً لأمر أستاذه الشيخ عبدالوهاب النجار.

ثم قام إقبال لإلقاء كلمته بالإنجليزية فألقى فيها الضوء على تطوّر الفكر الإسلامي وأحوال المسلمين و أطلق على المتصوفين من المسلمين إسم "علماء النفس" حسب تعبيره. و ملخص رسالة إقبال بهذه المناسبة هو:

1- يجب لنيل هدف السيد جمال الدين الأفغاني (الوحدة الإسلامية) تماماً أن يترجم جميع مؤلفاته و كتاباته إلى اللغة العربية حتى يفهمها الشعب.

2- يجب نشر اللغة الأردية في مصر حتى يعرف أهل مصر الأفكار

والتعاليم والحقائق الإسلامية لأهل الهند ولاسيّما مسلمي الهند، وللمساعدة في نشر الخطّة المقدمة بالنسبة لأرفع مقام الإنسانية والتعريف بهذه الفلسفة الحقيقية في البلدان الإسلامية. (48)

ولله الحمد، نجد الآن أقسام اللغة الأردية و آدابها بجامعة الأزهر والقاهرة و عين شمس وا لإسكندرية تقوم بالتدريس و تشجيع البحوث في اللغة الأردية وآدابها وا لاعتناء بتراث العلوم ا لإسلامية بها، وعلى رأسها شعر إقبال و فكره و فلسفته. وكذلك نجد اللغة العربية مادة إجبارية في مدارس باكستان و إيران و غيرها من الدول المسلمة. (49)

وكان إقبال زار الآثار التاريخية مع غلام رسول مهر بالقاهرة ونواحيها، و على رأسها أهرام مصر و متحف الفراعنة والمتحف العربي، فأعجب بها. وزار "قصر العيني" الذي هو مستشفى سُمّي باسم الإمام بدرالدين العيني شارح البخاري الذي روي عنه أنه كان كتب شرح صحيح البخاري في هذا المكان. وزار إقبال أسواق القاهرة المختلفة كما أنه زار الأماكن المقدسة بالفسطاط، مقر الخلافة قديماً، وعلى رأسها جامع سيدنا عمرو بن العاص رضى الله عنه والمقبرة القديمة. وكانت المقبره تضمّ قبور مماليک مصر والأسرة الخديوية، فقرأ الفاتحة. ثم زار قبر الإمام الشافعي وما زال يقرأ القرآن عند قبره وقتاً طويلاً. ثم زار قلعة محمد علي باشا، مؤسّس الأسرة الخديوية، ومسجده. وكذلک زار مسجد الحسن و مسجد الرفاعي وغير ذلک. (50)

وغادر العلامة محمد إقبال القاهرة مع غلام رسول مهر في الساعة السادسة مساء خامس ديسمبر 1931م في جمع من المودّعين له مسافراً إلى

القدس الشريف بالقطار. ووصلا إلى القدس بعد خمس عشرة ساعة في سادس ديسمبر 1931م. وكان القطار ذهب من القاهرة إلى بنها شمالاً، ثم إلى إسماعيلية شرقاً، ثم إلى القنطرة بجانب قناة السويس شمالاً. فحمل رجال الطبيب سليمان أمتعة إقبال ومهر من محطّة القنطرة الغربية إلى محطّة القنطرة الشرقية، فركبا القطار المؤدّي إلى فلسطين. وكان رجال الدكتور محمد سليمان قد أتوا من بور سعيد التي تقع على بعد خمسة عشر ميلاً من القنطرة. وكان سيد رشيد رضا ركب نفس القطار من القاهرة للمشاركة في المؤتمر الإسلامي بالقدس مثل إقبال و مهر. (51)

وقال إقبال عن زيارة مصر بعد عودته منها:

"اتفق لي أن أذهب إلى مصر قبل أشهر. فاستيقنت بعد مشاهدة أحوالها بأنّ أستر الغفلة قد رفعت. فتوجد في مصر مشاعر الوطنية و حماسة العمل. وهناك مؤسّسة تحافظ على حضارة البلاد و تقاليدها. (52)

وكان محمد إقبال مخلصاً للعرب إلى حدّ أنه لما لقي ما سوليني قائد إيطاليا في رومة (1931م) أعلمه بأن شعب إيطاليا يشبه الشعب الإيراني إلى حد كبير عقلاً و ذكاء و جمالاً و حباً للفنون. وخلف ظهرهم قرون عديدة من التمدن والحضارة. ولكن ليس في عروقهم دم. فالإيرانيون يستطيعون الانتفاع بدماء الأمم المجاورة القوية من العرب والأفغان والكرد والأتراك اختلاطاً، ولكنّكم يا أهل إيطاليا لا تقدرون على ذلك، فستبقون ضعفاء. فسأله ماسوليني: "ماذا يجب على الإيطاليين إذن؟ فقال إقبال:

فولّوا وجوهكم من الغرب و توجّهوا إلى الشرق، لأن خُلُق

أوربّـا، مع الأسف، متلـوّث ولكـن هـواء الشـرق صـافية
فاستنشقوها." (53)

وكان إقبـال اقترح على ماسولينى تحديد عدد السكان في كل مدينة وعمارة المدن الجديدة طبقاً للحديث النبوي. فأعجب ماسولیني بهذه الفكرة النادرة. وسأل ماسولیني إقبال بعد هذا اللقاء بأيام في رسالته المكتوبة إليه عمّا يستطيع أن يفعل لإرضاء المسلمين؟

فـاقتـرح عـليـه إقبال أن يبني مسجداً في روما لأنّ ثلاثمائة إيراني قد سـكـنـوها. و ثانياً أن يعقد مؤتمر علماء العرب في سلرنو التي يعتبرونها مدينة إسلامية قديمة.

وتأثر إقبال بشخصية ماسولیني وقال فيه:

"إنه لُوثر بدون إنجيل".

ولكنّه لمّا هجم على الحبشة سنة 1935م، ذمّ إقبال فعله في منظوماته ذمّاً شديداً. (54)

و رُوي أن إقبـال كـان انتـقل من اللغة الأردية إلـى الـلغة الفارسية فى شعره لبعض الأسباب، ثم انجذب إليها لجمالها فقال:

"ولكن جذبني جمال اللغة الفارسية بعد ذلك،
فما زلت ناظماً الأبيات بها." (55)

وقال الدكتور جاويد إقبال متحدّثاً عن أهمية اللغة العربية عند إقبال:

"وكـان إقبـال، رغـم دواويـنـه و مـؤلفاته العظيمة بالفارسية والأردية والإنـجـليـزية مشـغـوفـاً باللغة العربية و راغباً فيها خـاصة. وكـان يـؤمـن بـمستـقبـل العربية المزدهرة من بين

لغات الشرق خاصة. فأوصاني بتعلّم اللغة العربية.

وكتب الشيخ أبو الحسن علي الندوي (ت 1999م) أيضاً بالإشارة إلى زيارته لإقبال (23 نوفمبر 1937م بلاهور) أنّه كان أوصى ولاة الأمر المسلمين في الولايات الهندية بالإجراء ات اللازمة لنشر و تطوير اللغة العربية مع بعض الإجراء ات الأخرى. (56)

وكان الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي (م 31 ديسمبر 1999م، راي بريلي بالهند) زار إقبال قبل و فاته بأشهر، في اليوم السادس عشر من رمضان السنة 1356 هـ (22 تشرين الثاني / نوفمبر، سنة 1937م) في منزله صباحاً مع زوج عمّته السيد محمد طلحة الحسني أستاذ الكلية الشرقية بجامعة بنجاب سابقاً ومع ابن عمه السيد إبراهيم بن إسماعيل الحسني. فاستغرقت الجلسة ثلاث ساعات تحدّث إقبال فيها عن الشعر العربي واللغة العربية و غير ذلک:

"واسترسل في الكلام و أفاض وتحدّث عن كل موضوع، تحدّث عن الشعر العربي القديم، و تحدّث عن إعجابه بصدقه و واقعيته، وما يشتمل عليه من معاني البطولة والفروسية، وتمثل ببعض أبيات الحماسة، وذكر أن الإسلام أثار في أتباعه روح الكفاح وحب الواقع، وأن علوم الطبيعة تلتقي مع الإسلام على الجدّ والعمل والبعد عن البحوث الفلسفية التي لا جدوى فيها، وقد ظلت هذه الروح متغلغلة في المجتمع الإسلامي قرنين، فقد بقي

متمسكاً بالعقيدة والعمل والسيرة والخلق، حتى طغت عليه الفلسفة الإغريقية، وتحدث عن الفلسفة الإلهية، وكيف شغلت الشرق واستهلكت قواه، وذكر أن أوروبا إنما نهضت وملكت العالم لمّا ثارت على هذه الفلسفة ما بعد الطبيعة، وبدأت تشتغل بعلوم الطبيعة المجدية المنتجة، ولكن قد حدث وثار من المسائل في هذا العصر ما يخاف معه أن ترجع أوروبا القهقري، وذكر أن العقل العربي كان أقوى على إساغة الإسلام إساغة صحيحة و أجدر بحمل أمانته، وقد أصيب الإسلام في إيران بما أصيبت به المسيحية في أوروبا، فقد أثّرت العقلية الآرية في كلتي الديانتين.

وتحدّث عن التصوف وانتقد إغراق بعض رجاله في التخيّل والتطرّف. وتطرّق الحديث إلى تواجد بعض المتصوفين وطربهم بالسماع، فقال: إن الصحابة كان يتملّكهم الطرب والاهتزاز والأريحية على صهوات الجياد في ساحة الجهاد.

وتحدّث عن التجديد الإسلامي في الهند، فأثنى على الشيخ أحمد السرهندي والشيخ ولي الله الدهلوي والسلطان محي الدين أورنك زيب، وقال: إنني أقول دائماً، لولا وجودهم وجهادهم، لابتلعت الهند و حضارتها و فلسفتها الإسلام. و تحدّث عن باكستان وقال:

إن أمة لا تملك أرضاً تستند إليها، لادين لها ولا حضارة، فإنّما الدين والحضارة بالحكومة والقوة، وإنّ باكستان هي الحل الوحيد للمشاكل التي يواجهها المسلمون في هذه

القارة الهندية، وهي الحلّ الوحيد للمشاكل الاقتصادية.

وأشار إلى نظام الزكاة و بيت المال في الإسلام.

وبمناسبة مستقبل المسلمين في الهند، قال:

أشرت على بعض أمراء المسلمين أصحاب الولايات بالعناية بنشر الإسلام في غير المسلمين، و نشر الثقافة والآداب الإسلامية في المسلمين، وإحياء اللغة العربية و أدبها في هذه البلاد، والانتفاع بثروتهم بتأسيس بنك عالمي، و إنشاء صحيفة إنجليزية عالمية تدافع عن قضايا المسلمين، حتى يحسب لهم حساب و يرهب جانبهم، وتكون لهم مكانة عالمية تخشى وترجىٰ، وإنّ في ذلك صيانة لدولتهم وضماناً لكيانهم، ولكن الأمراء المسلمين لم يعرفوا أهمية المسألة، ودقة موقفهم، والأخطار التي تحدّق بهم.

وكان يشكو قصر نظرهم، وضعف تفكيرهم واشتغالهم بنفسهم. (57)

وتوفيّ إقبال بعد ذلك بخمسة أشهر في 21 أبريل 1938م، فصلىّ عليه مئات الآلاف من المسلمين و دفن بجوار المسجد الملكي (شاهي مسجد) بلاهور. واستقلّت دولة باكستان بعد عشر سنين من وفاته (في 14 أغسطس 1947م).

ويعلّق أبو الحسن الندوى علىٰ راي إقبال قائلاً:

"وألغيت هذه الإمارات بعد التقسيم بجرّة قلم و ذهب الأمراء و "أصحاب السمو" الذين لم ينتفع الإسلام والمسلمون بثروتهم و كنوزهم، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين". (58)

إقبال عند أعلام العرب

ولا نستطيع أن ننقل أقوال آلاف العلماء والباحثين والأدباء والمثقفين المنتمين إلى الأمة العربية المنتشرة في أكثر من عشرين دولة عربية إسلامية والمحيطة بما يزيد على ثلثمائة مليون نسمة من الشعوب العربية المنتشرة في قارتي آسيا وأفريقيا وخارجهما. وعلى رأسهم سيد رشيد رضا، والشيخ مصطفى المراغي، و المفتي فلسطين أمين الحسيني، والدكتور عبدالحليم محمود، والشيخ علي الطنطاوي، وحسن البنّا، وسيد قطب، ومحمد قطب، والأستاذ عبدالوهاب عزام، و عباس محمود العقاد، وطٰه حسين، و محمد حسين هيكل، وأحمد حسن الزيّات، والدكتور حسين مجيب المصري، والدكتور محمد البهي، والشيخ صاوي شعلان، والأستاذ أحمد بهجت، والدكتور محمد كامل موسى، والأستاذ فتحي رضوان، والدكتور سليمان حزين، والدكتور عثمان أمين، والدكتور أحمد الشرباصي، والدكتور حسن عيسى عبد الظاهر، والدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، والدكتور إبراهيم الناجي، والدكتور سعد ظلام، والأستاذ عبدالمنعم ضيف اللّه، والأستاذ خالد الجرنوسي، والأستاذ عزيز اباضة باشا، و عبدالغني حسن، وعبدالرحمن العزمي، وعبدالله شمس الدين، و محمود حسن إسماعيل، وغيرهم لايحصى عددهم. وكلّهم نجوم العلم والأدب والثقافة، وكلّهم أعلام العرب والمسلمين في العصر الحديث. وهم من إقبال و إقبال منهم ديناً و أمة ولغة و عروبة.

فلنلقي نظرة عابرة على أقوال بعض الأعلام من العرب للإشارة إلى علاقة إقبال بالعروبة وا لإسلام وتجليل مآثره في العالم العربي: فقال الأستاذ

محمد السعيد جمال الدين المصري بهذا الصدد:

"ولقد دأبت الهيئات الدينية والعلمية والثقافية في مصر على الاحتفال في كلّ عام بذكرى وفاة إقبال. فالأزهر والجامعات المصرية والمحافل الدينية والثقافية والسفارة الباكستانية بالقاهرة لايتركون هذه المناسبة تمرّ دون وقفة تأمّل وإعجاب بهذا الشاعر الفيلسوف الذي لا ينضب معينه والذي لا يفتأ شعره يتفتق كلّ حين عن كلّ جديد و عجيب. ولقد كان اهتمام الجامعات المصرية بالاحتفال بذكرى إقبال حافزاً دفع بعض الدارسين على التخصص في الدراسات الإقبالية." (59)

"ونخصّ بالذكر ذلك الاحتفال الكبير الذي أقامته جامعة القاهرة في سنة 1956م بذكرى وفاته، وقد ألقى صفوة من كبار الشخصيات المصرية كلمات عن إقبال، منهم الدكتور طه حسين، والأستاذ عباس العقاد، والدكتور محمد حسين هيكل، والأستاذ أحمد حسن الزيات، وقد نشرت سفارة الباكستان بالقاهرة في السنة نفسها كتاباً يضمن كلماتهم في هذا الاحتفال." (60)

وتحدّث الدكتور حسين علي محفوظ من جامعة بغداد عن اهتمام العراق بإقبال قائلاً:

"اهتم العراق بإقبال منذ زمان بعيد، فقد احتفلت بغداد بيوم إقبال في 12 ايار سنة 1950م، وكرّمه جماعة من العلماء

والأدباء والشعراء. ونقلت السيدة أميرة نور الدين داؤد إلى العربية (دراً من شعره) طبعت سنة 1951م. فقد ترجمت نماذج من دواوين إقبال الثلاثة (رسالة المشرق) و (زبور العجم) و (جناح جبرائيل). (61)

ولا شك أن الفضل الأول للأستاذ عبدالوهاب عزام المصري في تعريف العرب بإقبال و فكره و دواوينه باللغة العربية شعراً و نثراً، ثم للشيخ صاوي شعلان و أبي الحسن الحسني الندوي و محمد قطب وأمثالهم الذين نشروا أفكار إقبال بين الناطقين بلغة الضاد.

ويعتبر عباس العقاد (1889–1964م، مصر) من أبرز رجال الفكر والدعوة والشعر والنثر العربيين في العصر الحديث. ومن مؤلفاته: "اللّٰه" و"أبو الأنبياء إبراهيمؑ" و "عبقرية موسىؑ" و "عبقرية المسيحؑ، و "عبقرية الرسولؐ" و "عبقرية الصديقؓ" و "عبقرية عمرؓ" و "عبقرية ذي النورينؓ" و "عبقرية الإمام عليؓ" و "عبقرية خالدؓ" و "عائشة الصديقةؓ" و "معاوية بن أبي سفيانؓ" و "عمرو بن العاصؓ" و "أبو الشهداء الإمام الحسينؓ" و "الإسلام في القرن العشرين" وغيرها. فقال العقاد مشيراً إلى عظمة إقبال كمقدّم فكرة دولة منفصلة للمسلمين بالهند:

> "كانت الباكستان حلماً من أحلام إقبال منذ ربع قرن من الزمن، فأصبح الحلم اليوم دولة تضمّ بين جوانحها مائة مليون من النفوس، يترجمون ذلك الحلم الرائع كل يوم إلى أعمال و آمال.
>
> وهكذا تكون العظمة التي تحيينا ويحق علينا أن نتذكّرها

بالتحيّة والإحياء، عظمة صوفي يعمل، وعظمة عامل يتصوّف، عظمة عالم يثير النفوس بالأحلام وليس بحالم في منام أو قاعد محفل من الزحام.

وإذا وجب للعظماء حقّهم في كل زمن، وإذا كان هذا الحق أوجب ما يكون على الشرق في هذا الزمن، وإذا نظرنا حولنا نبحث عن مثال، فذلك المثال هو إقبال وذكرى إقبال." (62)

وكان الأستاذ عبدالوهاب عزام قام بترجمة شعر إقبال الفارسي باللغة العربية على نطاق واسع. وله فضل على الآخرين في التعريف بإقبال بين الناطقين بلغة الضاد. فاعترف نابغة الأدب والنقد العربيين الدكتور طٰهٰ حسين (1889–1973م) بمنّة عزام على العرب و عظمة إقبال قائلاً:

"أفنى الأستاذ الصديق عبدالوهاب عزام وقتاً كبيراً وبذل جهداً عظيماً، وقدّم إلينا حياة إقبال، و طائفة من شعر إقبال، وهو ماض في ترجمة مابقي من شعره. ونحن مدينون له بكل ما نعرفه عن إقبال باللغة العربية. وسيزداد هذا الدين شيئاً فشيئاً كلّما أضاف إلى تراجمه التي بين أيدينا ترجمة أخرى. وأحبّ أن نكون أوفياء، وأن نكون كراماً على أنفسنا، وأول حقوق الكرامة هو أن نعرف الحق لأهله، وأن نذكر إقبال أداء لما علينا جميعاً من دين، فهو الذي دعانا إلى الخير و أشاع فينا هذا الأمر بأن نعرف أنفسنا وحقوقنا و نجاهد في سبيل الحق والخير والجمال". (63)

وكان الدكتور طٰه حسين ألّف كتباً نادرة كثيرة. ومنها: "في الأدب الجاهلي" و "الأيام" و "الشيخان" و "الفتنة الكبرى" و "الوعد الحق". ولكنه كان معجباً بشخصية و شعر أبي العلاء المعري خاصة. فألّف عنه كتابه الفريد "مع أبي العلاء في سجنه". وكان أبو العلاء المعري نابغة أعمىٰ مثل طٰه حسين. فمدح طٰه حسين إقبال والمعرّي معاً قائلاً:

"شاعران إسلاميان رفعا مجد الآداب الإسلامية إلى الذروة، وفرضا هذا المجد الأدبي الإسلامي على الزمان، أحدهما إقبال، شاعر الهند والباكستان، وثانيهما أبو العلاء، شاعر العرب." (64)

ويرى الأستاذ أحمد حسن الزيّات، صاحب الأدب والتاريخ، أن العلامة محمد إقبال يفوق المعرّي كشاعر فلسفي:

"وما كان إقبال إلاّ بضعة من طبيعة الهند المؤمنة نفخ فيها الإسلام من روحه، فصفت صفاء الفطرة، وخلصت خلوص الحق، وسطعت سطوع الهدي، ثم تبلورت فيها برهمية الهند الموروثة ومحمدية العرب المكسوبة، فكان منهما فلسفة شعرية فريدة، لاهي علمية متردّدة شاكية كفلسفة "المعرّي" ولاهي وجودية ملحدة قاسية كفلسفة "نتشة". وإنما هي الإسلامية الموحّدة المؤلفة السمحة كما أوحاها الله بروحيتها النابغة من القلب الشاعر بآلام الأرض وماديتها الصادرة عن العقل بإلهام السماء." (65)

ولإقبال مكانة فريدة كشاعر الإسلام ليست لغيره. فقال الأستاذ

الزيّات بهذا الصدد:

"فاذا كان حسّان شاعر الرسول، فان إقبال شاعر الرسالة. وإذا كان لحسّان من نازعه شرف الدفاع عن محمد، فليس لإقبال من ينازعه شرف الدفاع عن المحمدية. و شتان بين من يمجّد الداعي الأكبر عن عصبية، ومن يمجّد الدعوة الكبرى عن عقيدة.

وإذا كان في الشعراء الصوفيين من عطر مجالس الذكر بفضائل الإسلام وشمائل النبوة، فليس منهم من بلغ مبلغ إقبال في فقه الشريعة و علم الحقيقة والتأمّل الفلسفي في كتاب اللّٰه والنظر العلمي في كلام الرسولؐ، والجمع بين قديم الشرق و جديد الغرب في قوة تمييز و سلامة فهم وصحة حكم." (66)

وقال الدكتور محمد حسين هيكل، صاحب "حياة محمدؐ" و "ثاني اثنين أبوبكرؓ" و "عمر الفاروقؓ" وغيرها من المؤلفات العلمية في السيرة والتاريخ، بمناسبة حفلة إقبال بالقاهرة:

"ومن حق إقبال أن يذكره في مثل هذا اليوم كل مسلم بل كلّ مفكّر في الوجود. فقد طلع هذا الرجل على العالم الإسلامي وعلى العالم كله بفلسفة جديدة صاغها شعراً، فاذا هي تهزّ المشاعر والقلوب، وإذا هي تثير كثيرين من عظماء العالم، فينظرون نظرات إعجاب إلى هذا المسلم الذي ولد في الهند و نشأ بين أهلها، ثم أعلن على الناس

فلسفة شعرية سائغة لا تتفق مع الفلسفة الهندية في شيء، ويستحسن لذلك في حناياها عالم جديد و دولة جديدة.

أما الدولة الجديدة، فهي باكستان، وأما العالم الجديد، فهو عالم الإخاء الإنساني في ظلال التوحيد والإيمان بالذات، إيماناً تدفع فيه المحبة إلى العمل والدأب لإنشاء عوالم فكرية جديدة تزيدنا إقبالاً على الحياة و حرصاً على الخلق والإنشاء فيه." (67)

ونجد في الموسوعة الميسّرة العربية بياناً تالياً عن فكرة إقبال:

"والفكرة الاسلامية عند الشاعر محمد إقبال تستلزم توافر ثلاث مراحل:

الأولى: الوقوف على المقاصد الشرعية التي بيّنها الدين الإسلامي، فهي حقائق أبدية لا تتغيّر.

والثانية: الجهاد الديني في سبيل تحقيقها، كل في مجاله، وعلى الأديب أن يعتصم في سبيل ذلك بالصبر، وهذه يستلزم الإنقياد التام لأمر الله تعالى عن عقيدة ثابتة و إيمان راسخ و محاربة نوازع النفس. وثالثها: انطلاق الذوات الإسلامية كلها لتحقيق أهداف الأمة الإسلامية. (68)

ونورد الآن بعض الآراء للأستاذ مرتضى المطهري الهاشمي (ت 1979م، الطهران) صاحب الإمام الخميني (1902–1989م) الذي يعتبر من كبار مفكري إيران و أعلام الشيعة الإثني عشرية المحترمين عند شيعة العرب والعجم. فكان يجيد اللغتين العربية والفارسية مع معرفته الواسعة

بالآداب العربية وا لإسلامية. فجعل إقبال مع السيّد جمال الدين الأفغاني (ت 1897م) والشيخ محمد عبده (ت 1905م):

"كان إقبال يفكر في نفس القضايا التي كان يفكر فيها الشيخ محمد عبده، أيء انه كان يبحث عن حلّ يستطيع المسلمون أن يحلوا مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، بدون مخالفة أيّ حكم أو أصل من الأصول الإسلامية". (69)

"كان إقبال يسعى من خلال أشعاره و مقالاته و خطبه ومؤتمراته أن يذكّر الأمة بمجدها وعظمتها و ثقافتها ولياقتها و استعدادها، حتى ترجع إلى الإيمان بذاتها. ولذلك حاول إقبال أن ينهض بأبطال الإسلام من أعماق التاريخ و يضعهم أمام أعين المسلمين، و بهذا العمل أصبح له فضلاً عظيماً على المجتمع الإسلامي.

أما في مجال انتشار أفكار و نشاطات إقبال الإصلاحية، كانت تقريباً كأفكار السيد جمال الدين و ليست بالضبط، فقد انتشرت أفكار و نشاطات إقبال الإصلاحية إلى خارج حدود بلاده و نوعاً ما استطاعت أن تؤثّر في أكثر بلاد العالم الإسلامي." (70)

وقال المطهري في تأثير شعر إقبال:

"إن أشعار وأنا شيد إقبال الثورية التي نظمت بلغة الأردو، الهندية، ترجمت إلى العربية والفارسية، ولكنها

لا زالت تملك أثرها الحماسي والمهيج في أوساط المسلمين." (71)

وكان إقبال يتمسّك بعقيدة "أهل السنة والجماعة" مثل أغلبية العرب والمسلمين. فمدح أبابكر و عمر و عثمان و عليّا وأمهات المؤمنين وفاطمة والحسنين وغيرهم من الصحابة و أهل البيت، رضي الله عنهم، حتى فاق شعراء الشيعة في مدح أهل البيت، عند المطهري:

"مع أن إقبال رسمياً ينتسب إلى أهل السنة إلا أنه أبدى علاقة وولاء خاصاً تجاه أهل البيت، عليهم السلام. حتى أنّه نظم أشعاراً ثورية و حكمية باللغة الفارسية في مدح أهل البيت بحيث لايمكن لنا أن نرى له نظيراً بين كل شعراء الفرس من أهل الشيعة. المهم أنّ الشعر لم يكن عند إقبال هدفاً و غاية، إنما كان وسيلة لتوعية و تحريك الأمة الإسلامية". (72)

ونورد أخيراً رسالة العلامة إقبال الّتي كان أعطاها للدكتور إحسان حقي (ناصر الدين إحسان سامي حقي) في عام 1933م، للإشارة إلى صلة إقبال بهذا الأستاذ العربي المسلم و حبّه للعرب والعروبة. وكان الدكتور إحسان حقي أستاذاً بجامعة عليكره الإسلامية قبل انقسام الهند. وكان يعرف اللغات العربية والفارسية والأردية وغيرها، كما أنه ألّف كتباً هامة باللغة العربية. وعلى رأسها: "باكستان، ماضيها وحاضرها" وكذلك كتاب "الجزائر العربية" و "تونس العربية" و "المغرب العربي" و "إفريقية الحرّة" و"منوسمرتي" و "الإسلام أو الشيوعية" و "مسلم الغد".

Idara-i-Ma'arif-i-Islamia

إدارة معارف إسلامية، لاهور

Lahore: 17th April 1933.

I feel extreme pleasure to introduce my esteemed and distinguished member of the Idara-i-Ma'arif-i-Islamia, Islamic Academy of Research, Professor N.I.S. Haqqi to all the intellectual personalities of note and to request them all to afford all sorts of assistance he stands in need of.

I am sure that literary associations will feel deem pride in having among themselves such an eminent scholar.

President,
Islamia Academy of Reasearch,
Dr. Sir Muhammad Iqbal.

المجمع العلمي الإسلامي في لاهور

لاهور: في 17 نيسان سنة 1933

إنني أشعر بسرور عميق بأن أقدّم صديقي العزيز والعضو الممتاز في المجمع العلمي الإسلامي للأبحاث، البروفيسور ن. ا. س. حقّي إلى جميع المعاهد العلمية والشخصيات الأدبية البارزة، وأرجوهم جميعاً بأن يقدّموا إليه كل مساعدة يحتاجها.

وإني لعلى يقين بأن المحافل الأدبية ستشعر بالفخر العميق بأن ترى بينها مثل هذا العالم الجليل.

التوقيع:
رئيس المجمع العلمي للأبحاث
الدكتور سير محمد إقبال. (73)

ونشر الدكتور حقّي نص الرسالة باللغة الإنجليزية وترجمتها العربية في كتابه "باكستان ماضيها و حاضرها" و علّق عليها قائلاً:

"وإذا كنت أحرص على نشر هذا الكتاب الذي أعطانيه المغفورله يوم ذهبت سنة 1933م لأول مرّة إلى أوربّا لكي يقدّمني إلى الأوساط العلمية، فاني إنما أفعل ذلك لسببين اثنين، الأول: لأنه من آثار هذا الصديق العظيم الذي أفتخر بصداقته و أعتزّ، كما يفتخر العالم الإسلامي كلّه و يعتز بمكانته العلمية و الإسلامية، لاسيّما و إن الناس كانوا و لا يزالون يحرصون على الاحتفاظ بكلّ أثر من آثار عظمائهم حتى ثيابهم و أثاثهم.

والسبب الثاني: حرصي على أن أزيّن كتابي بهذه الكلمة يحقّ لي أن أفتخر بها، لأنّها صادرة عن عالم جليل يزن كلماته بميزان الذهب وفيها من الإطراء ما يدعو إلى الفخر". (74)

ملخص البحث

نلخص فى النقاط الآتية مما تقدم من البحث والتحليل بالنسبة لإقبال والعروبة:

1- ولد ونشأ إقبال في بيئة إسلامية هندية تضمّ عناصر العروبة. فتلّقى كلمات الأذان والإقامة العربية في أذنيه بعيد ميلاده. ثم تعلّم الشهادتين وكلمات الصلاة و قراءة القرآن باللسان العربي المبين في صغر سنه، كما أنه أتقن الكتابة العربية ضمن تعلمه اللغة الأردية

المكتوبة بالحروف العربية في الفصول الابتدائية، وتعرّف على آلاف الكلمات العربية الموجودة في اللغتين الأردية والبنجابية.

2- درس إقبال اللغة العربية مباشرة أثناء دراساته بالمدرسة والكلية في سيالكوت بإشراف شمس العلماء مير حسن الهاشمي كما أنه تعلّم اللغة الفارسية المكتوبة بالأبجدية العربية والمليئة بالكلمات والمصطلحات العربية مثل اللغة الأردية.

ثم اختار إقبال اللغة العربية كمادة اختيارية من مواد البكالوريوس في الآداب بالكلية الحكومية بلاهور، ونجح في امتحان شهادة البكالوريوس بامتياز ونال وساماً لنجاحه الباهر في اللغة العربية.

3- عمل إقبال "كباحث ماكلود للعربية (Mcleod Arabic Reader) بالقسم العربي للكلية الشرقية بجامعة بنجاب، لاهور. (1899–1903م).

4- تولّى إقبال تدريس اللغة العربية بجامعة لندن لستة أشهر لمّا سافر الأستاذ أرنولد، أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية بها إلى مصر (1908م) وعينّه في منصبه مؤقتاً.

5- و بالإضافة إلى تمسّكه بالقرآن والحديث العربيين، ومعرفته الواسعة باللغة العربية و علومها الإسلامية، و دراسته العميقة للمؤلفات العربية المتنوّعة طيلة حياته، اختار إقبال لنظم شعره اللغتين الأردية والفارسية المكتوبتين بالحروف العربية والمليئتين بالكلمات والمصطلحات والمفرادات العربية. فملأ منظوماته ودواوين شعره بالآيات والأحاديث والمقتبسات والمفاهيم العربية

مع مراعاة حدود الشعر و قيود القافية العليا، وإن لم ينظم بالعربية لأسباب وظروف.

6- أكّد إقبال ضرورة تعليم اللغة العربية لجميع المسلمين من حين إلى حين و أصرّ على ذلك إصراراً شديداً. وذلك لفهم القرآن والحديث والعلوم العربية الإسلامية ولتأسيس المجتمع على أساس القرآن والسنة والاجتهاد، ولتحقيق وحدة الأمة الإسلامية في مشارق الأرض و مغاربها. فاستيقن وبشّر مراراً بمستقبل اللغة العربية المزدهر الفريد من بين جميع لغات الشرق، جنباً إلى جنب مع اللغات الغربية الراقية. ولفّت أنظار الأمراء والحكام والعلماء والمثقّفين و عامة المسلمين إلى تعليم اللغة العربية و نشرها على نطاق واسع، في المناسبات المختلفة، و في مختلف الأزمان والأماكن شرقاً و غرباً. وكان أوصى ابنه جاويد اقبال كما روي عنه، باختيار مادة اللغة العربية في تعليمه الرسمي (بدلاً من اللغة الفارسية). وتأسّف على عدم معرفة المسلمين باللغة العربية وعدم إتقان كثير من المشتغلين بالقرآن والحديث والعلوم الإسلامية في اللغة العربية.

7- قدّم إقبال فكرة تأسيس دولة باكستان المسلمة في مناطق العروبة القديمة، لغة و أبجدية و ديناً و ثقافة، بدأ من عصر الخلافة الأموية في القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري (من القرن السابع إلى القرن العشرين الميلادي) وهي بلوجستان والسند

وبنجاب والحدود الشمالية الغربية وجموں و كشمير.

8- قام إقبال بزيارة البلدان العربية من اليمن و مصر و فلسطين، فلقي أعلام العرب والمسلمين الناطقين بلغة الضاد وتحدّث إليهم واستمع إلى الكلمات والمحاضرات والمناقشات العربية في المناسبات المختلفة، كما أنه ألقى الكلمات والمحاضرات في الأماكن المختلفة من الإسكندرية والقاهرة والقدس وغيرها باللغة الإنجليزية ترجمت على الفور باللغة العربية. وكان يعترف بعدم مهارته في المحادثة العربية لعدم تعوّده وتمرينه.

9- ترجمت مؤلفات و مقالات إقبال ولاسيّما دواوين شعره الأردية والفارسية و كتابه "تجديد الفكر الديني في الإسلام" إلى اللغة العربية بمرور الزمن، كما أنها نشرت مئات المقالات والكتب العربية عن حياته و شعره و أفكاره باتجاهاتها المتنوعة على أسس ترجمات إقبال العربية، و عن طريق مباشر، بالجامعات المصرية والعربية و بالمؤسسات الأخرى، ولا تزال تنتشر في العرب والعجم والشرق والغرب.

10- قام رّواد الشعر والنشر والعلم والفكر والأدب والثقافة والسياسة من أعلام العرب بالاعتناء بشخصية إقبال و مدح شعره و أفكاره مدحاً بالغاً، وتأثّروا بشعره و أفكاره فعدّوه منهم، واعترفوا بخدماته العربية والإسلامية اعترافاً عظيماً. وعلى رأسهم سيد رشيد

رضا، والشيخ مصطفى المراغي، وآل كاشف الغطاء، وعلي الطنطاوي، ونحاس باشا، وعباس العقاد، وطٰهٰ حسين، وعبدالحليم محمود، و أحمد حسن الزيّات، ومحمد حسين هيكل، ومحمد البهي، ومحمد قطب، وغيرهم الذين لا يعدّ عددهم ولا تحصى أسماؤهم.

ولا يزال يزداد العالم العربي تأثراً بشخصية إقبال و أفكاره و أشعاره و يعتبره من أبرز عباقرة و نوابغ الأمة العربية والإسلامية الناطقين باللغة العربية والداعين إلى وحدة الأمة الإسلامية.

ونستطيع أنّ نقول: إن إقبال والعروبة شيئان متلازمان و صنوان لايفترقان، من ميلاده إلى الصلاة عليه، و إلى الأبد الأبيد.

وقال تعالٰى: إنا أنزلناه قرآناً عربياً (75)

و قال إقبال: گر تو مى خواهى مسلمان زيستن

نيست ممكن جز بقرآن زيستن (76)

(إذا أردت أن تعيش عيشة مسلم

فلا يمكن لك العيش بدون القرآن)

❁ ❁ ❁

الهوامش

1- الأستاذ بوندهانوئيل واليشر: محمد إقبال و علاقته بالثقافة الغربية (أفكار لعيد ميلاده المئوي) في "أبحاث ذكرى إقبال المئوية" (إعداد: الأستاذ محمد منور) قسم الإقباليات، جامعة پنجاب بلاهور، مطبعة المكتبة العلمية، لاهور، 1982م، ص 53.

2- أبو الحسن علي الحسني الندوي: روائع إقبال، مجلس نشريات إسلام، كراتشي، الطبعة الرابعة، 1403/ 1983م، ص 42.

3- أبو الحسن الندوي: روائع إقبال، ص 22.

4- أبو الحسن الندوي: روائع إقبال، ص 22-23.

5- أبو الحسن الندوي: روائع إقبال، ص 23.

6- بوندهانوئيل واليشر: محمد إقبال و علاقته بالثقافة الغربية (بواسطة معهد جوينة بلاهور) أبحاث ذكرى إقبال المئوية (في مؤتمر إقبال الدولي المنعقد بجامعة پنجاب، لاهور، پاكستان، من 2 إلى8 ديسمبر 1977م) إعداد: الأستاذ محمد منور، قسم الإقباليات بجامعة پنجاب، لاهور، ص 53-54.

7- مسعود الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، بيروت، دار العربية، 1370هـ، ص 215.

8- مسعود الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص 217.

9- بوند هانوئيل واليشر: محمد إقبال و علاقته بالثقافة الغربية، في أبحاث ذكرى إقبال المئوية، جامعة پنجاب بلاهور، 1982م، ص 52.

10- د. سيد محمد أكرم: إقبال اور ملي تشخص (إقبال و الهوية القومية) بزم إقبال،

لاهور، باشتراک قسم دراسات إقبال بجامعة بنجاب، لاهور، اكتوبر 1998م، الباب الثاني عشر، اللغة العربية، ص 292.

11- د. سيد محمد أكرم: إقبال اور ملی تشخص (إقبال و الهوية القومية)، الباب 12، ص 293-294.

12- د. سيد محمد أكرم: إقبال اور ملی تشخص (اردو)، ص 294.

13- د. سيد محمد أكرم: إقبال اور ملی تشخص، ص 294.

14- د. سيد محمد أكرم: إقبال اور ملی تشخص، ص 294.

15- هذه المعلومات مأخوذة عن المصادر العلمية المتنوعة.

16- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال (كتاب أسفار إقبال) أكاديمية إقبال بلاهور، الطبعة الأولى، 1998م، ص 50-51.

17- راجع للتفصيل مقالي "اللغة العربية في العالم الأسلامي الحديث" في "مجلة الكلية الشرقية" بجامعة بنجاب، لاهور، باكستان (المجلد 64، العدد 3-4) 1991م، ص 21-48.

18- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 241-243.

19- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 255.

20- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 233-234.

21- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 235-236.

22- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 243-244.

23- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص237.

24- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 241.

25- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 244-245.

26- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 197.

27- راجع للتفصيل حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 199-214 (باب أرض الأنبياء)

28- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 256-257

29- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 36.

30- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 35.

31- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 36-37 و ص 40-41.

32- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 41.

33- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 45-46.

و راجع د. محمد سليم: علامه إقبال كى سياسى زندگى (حياة العلامة إقبال السياسية) ستک ميل پبلى كيشنز، لاهور، 2001م، ص 74.

34- حمزه فاروقي: سفر نامه إقبال، ص 54-55.

35- محمد سويسي التونسي: محمد إقبال: شاعر باكستان و شاعر الوحدة الإسلامية، في أبحاث ذكرى إقبال المئوية، إعداد: الأستاذ محمد منور، قسم الإقباليات بجامعة بنجاب، لاهور، 1982م، ص 46.

36- د. إحسان حقي: باكستان ماضيها و حاضرها، بيروت، دار النفائس، 1393 هـ 1973م، ص 42.

37- د. إحسان حقي: باكستان ماضيها و حاضرها، ص 42.

38- جامعة بنجاب بلاهور: تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان و هند (تاريخ آداب المسلمين في باكستان و الهند) المجلد الثاني (الأدب العربي) لاهور، مطبعة المكتبة العلمية، الطبعة الأولى، 1972م، ص 5 (مقدمة).

39- جامعة پنجاب بلاهور: تاريخ أدبيات مسلمانان پاكستان وهند، ج 2، ص 69.

40- جامعة پنجاب بلاهور: تاريخ أدبيات مسلمانان پاكستان وهند، ج 2، ص 63.

41- جامعة پنجاب بلاهور: تاريخ أدبيات مسلمانان پاكستان وهند، ج 2، ص 67.

42- د. محي الدين: قضايا نشر اللغة والثقافة العربية الإسلامية في الخارج، في مجلة "اللسان العربي" الرباط، 1982م، العدد 20، ص 9.

43- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 161-163

44- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 164

45- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 179-180

46- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، راجع للتفصيل الباب "سياحة مصر" ص 163-182.

47- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 177

48- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 177-178

49- راجع للتفصيل مقالي "اللغة العربية في العالم الإسلامي الحديث" في "مجلة الكلية الشرقية" بجامعة پنجاب، لاهور، (المجلد: 64، العدد 4,3) 1991م، ص 21-48. وكتابي (اللغة العربية في العصر الحديث) عصر جديد ميں عربى زبان (الباب الثالث: لغة العالم العربي والإسلامي والإفريقي، ص 101-120) الفيصل پبلشرز، لاهور، 2003م.

50- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 187-192 (الباب: زيارة الآثار القديمة).

51- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 195

52- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 182

53- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 154-155

54- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 155-157

55- حمزه فاروقي: سفرنامه إقبال، ص 89

56- راجع مقدمة الدكتور جاويد إقبال بن العلامة محمد إقبال، في الكتاب "عصر جديد میں عربی زبان" لصاحب المقال، الفيصل بيلشرز، لاهور، 2003م، ص 17.

57- أبو الحسن الندوي: روائع إقبال، ص 9-11.

58- أبو الحسن الندوي: روائع إقبال، ص 11، حاشية 1.

59- د. محمد السعيد جمال الدين: إقبال في مصر، في أبحاث ذكرى إقبال المئوية، (إعداد: الأستاذ محمد منور) قسم الإقباليات بجامعة بنجاب، لاهور، 1982م، ص 17.

60- د. محمد السعيد جمال الدين: إقبال في مصر، في أبحاث ذكرى إقبال المئوية، ص 24، حاشيه 15.

61- د. حسين علي محفوظ: نظرة في تراث إقبال، في "أبحاث ذكرى إقبال المئوية" جامعة بنجاب، لاهور، ص 28.

62- عباس العقاد: فريضة إنسانية، ص 5، في كتاب "إقبال العرب على دراسات إقبال، (جمع وإختيار و تقديم: د. ظهور أحمد أظهر) المكتبة العلمية، لاهور، نوفمبر 1977م / ذوالحجة 1397ھ) ص 5.

63- طه حسين: إقبال و أبو العلاء المعري، في "إقبال العرب على دراسات إقبال" ص 38-39.

64- طه حسين: إقبال و إبو العلاء المعرى، في "إقبال العرب على دراسات إقبال" ص 31.

65- أحمد حسن الزيات: تحية للذكرى إقبال، في "إقبال العرب على دراسات إقبال"، ص 27.

66- أحمد حسن الزيات: تحية للذكرى إقبال، في "إقبال العرب على دراسات إقبال" ص 28-29.

67- محمد حسين هيكل: إقبال، شاعر الإسلام، في كتاب "إقبال العرب على دراسات إقبال" ص 7-8.

68- د. مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1418هـ، المجلد الثاني، ص 858 (تحت الرقم 109: الإسلامية في الأدب).

69- مرتضى المطهري: الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، دراسة و تصحيح (نهضت هاى إسلامى در صد ساله أخير)، المترجم: صادق العبادي، وزارة الإرشاد الإسلامي، 1402هـ. ق، ص 56.

70- مرتضى المطهري: الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، ص 58.

71- مرتضى المطهري: الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، ص 57.

72- مرتضى المطهري: الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، ص 57.

73- راجع لرسالة إقبال بالإنجليزية و ترجمتها بالعربية كتاب الدكتور إحسان حقي، باكستان ماضيها و حاضرها، دار النفائس، بيروت، 1973م، ص 17-18.

74- د. إحسان حقي: باكستان ماضيها و حاضرها، ص 15 (تقديم).

75- القرآن (يوسف : 2).

76- كليات إقبال (رموز بى خودى) غلام علي اينڈ سنز لاهور، الطبعة الثالثة، 1978م، ص 123.

الباب الخامس

الدكتور محمد حميد اللّٰه

سـيـرتـه و مـؤلـفـاتـه

الدكتور محمد حميدالله
سيرته و مؤلفاته

ولد الدكتور محمد حميد الله في اليوم السادس عشر من شهر المحرّم سنة ألف و ثلاثمائة و ست و عشرين الهجرية (16 المحرم 1326 هـ / 19 فبرائر 1908م) في "كتل مندى" شارع (كوچه) حبيب شاه بولاية حيدرآباد الدكن التي كانت تقع في الهند الجنوبية. (1)

وكان الدكتور محمد حميدالله ينتسب إلى أسرة عربية عرفت بالنواط في جنوب الهند. وكان آبائه استوطنوا الساحل الغربي من شبه القارة الهندية. وعرفت أسرته بنشاطاته العلمية والدينية، فكان جد الدكتور حميدالله للأب القاضي محمد صبغة الله بدر الدولة (211 هـ– 1280 هـ) عالماً كبيراً مثل آبائه و أجداده، واعتبر أول الكتّاب للنثر الأردى (الهندي) في الهند الجنوبية، فاشتهر كتابه "الفوائد البدرية" إشتهارا عظيما.

وكان والد الدكتور حميدالله، وهو أبو محمد خليل الله، أمينًا مساعدًا بوزارة المالـيّة في حكومة نظام (سلطان) حيدرآباد الدكن. وله مؤلفات عديدة. (2)

نشأ الدكتور حميدالله في حيدرآباد و قرأ الكتب الابتدائية على والده العظيم. ثم دخل مدرسة دارالعلوم، كما أنه درس بالجامعة النظامية عاماً. فأتقن اللغات العربية والفارسية والأردية و درس علومها. ونجح في

امتحان اللغة الإنجليزية. فنال شهادة الثانوية العليا من الجامعة العثمانية بحيدرآباد الدكنية، كما أنه نال بعد ذلك شهادة البكالوريوس في الآداب (B.A.). ثم نال شهادتي الليسانس في الحقوق (L.L.B.) والماجستير في الآداب (M.A.) من نفس الجامعة (قسم علوم الدين). (3)

وما زال حميدالله ملتحقاً بالجامعة العثمانية بعد ذلك لنيل شهادة الدكتوراه حتّى تيسّر له بعد مدة أن يسافر إلى ألمانيا في عام 1933م بإذن من الجامعة و بمنحة دراسية من حكومة حيدرآباد بمبلغ 75 روبية شهرياً. فنال شهادة الدكتوراه (D. Phil.) من "جامعة بون" الألمانية في عام 1933م بعد إكمال بحثه. وكان قدّم للجامعة أطروحته المتعلقة بالقانون الدولي الإسلامي في تسعة أشهر فقط. وكان عنوان البحث "عدم الانحياز في القانون الدولي الإسلامي" "Neutialitat in Islamischen Volkeriecht". وطبعت الأطروحة بألمانيا في عام 1935م واشتهرت اشتهاراً عظيماً. (4)

ونال الدكتور محمد حميدالله شهادة الدكتوراة الثانية (D. Lit.) من "جامعة سوربورن" العظيمة في باريس بعد إكمال بحثه المسمّى.

(السفارة الإسلامية في العصر النبوي والخلافة الراشدة)

"Le Diplomatie Musulmane a l'epoque du Prophete de 'I'Islam et des Khaliphes Orthodoxes".

وكان قدّم أطروحته باللغة الفرنسية إلى جامعة سوربورن في أغسطس 1934م فطبعت في باريس سنة 1935م. (5)

وكان الدكتور حميدالله يريد أن ينال شهادة الدكتوراه الثالثة من روسيا، فتعلّم اللغة الروسية. ولكنّه لم يستطع أن يسافر إلى لينن غراد بالإتحاد

السوفيتي لأنه كان أخبر من قبل إدارة الجامعة العثمانية بأنه كان أرسل إلى ألمانيا ولم يكن يسمح له بأن ينتقل إلى دولة أخرى، فكيف كان ذهب إلى باريس؟ وكان هدّد با لإجراء ات الرسمية ضده. فأكره على العودة إلى الجامعة العثمانية في حيدرآباد. فأعاد النظر في رسالته المقدّمة سابقاً لنيل شهادة الماجستير من الجامعة العثمانية ورتّبها من جديد بعد مراجعتها و إضافة المواد اللازمة إليها وقدّمها إلى الجامعة كأطروحة الدكتوراه باللغة الإنجليزية باسم (Muslim Conduct of the State) (القانون الدولي الإسلامي). فنال شهادة الدكتوراه الثالثة من الجامعة العثمانية في حيدرآباد الدكن. ويتعلّق البحث بمعاملة الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى على المستوى الدولي. وكان نال شهادة الدكتوراه الثالثة في عام 1939م أو 1940م. (6)

وكان استفاد كثيراً من أساتذته الكرام بالجامعة العثمانية. وكان يمدحهم جميعاً ويعترف بجودة علمهم و معرفتهم اعترافاً واضحاً. ولكنّه كان يذكر دائماً أستاذه الجليل الشيخ مناظر أحسن الجيلاني الذي لايزال يعتبر من نوابغ العلماء والمؤلفين المسلمين في شبه القارة الهندية وله مؤلفات هامة كثيرة باللغة الأردية. وعلى رأسها "تاريخ تدوين الحديث" و "نظام المسلمين للتعليم والتربية في الهند" (هندوستان ميں مسلمانوں کا نظام تعليم و تربيت) في مجلدين.

وكان الشيخ مناظر أحسن رئيساً لقسم الديانة والعلوم الإسلامية بالجامعة العثمانية في ذلك الزمان. فاستفاد الدكتور حميدالله منه كثيراً في إكمال أطروحته للدكتوراة (Muslim Conduct of the State) "القانون الدولي الإسلامي". وكان يمدح أستاذه مدحاً بالغاً. (7)

وكان الدكتور حميدالله لا يتغيّب عن الفصول كطالب أو محاضر حتى كان حضر درسه يوم وفاة أمه بعد دفنها في حيدرآباد الدكن. ويدلّ ذلك على حرصه على العلم والبحث دلالة تعجز الآخرين. (8)

وعيّن الدكتور حميدالله محاضراً في قسم علوم الدين (دينيات) بالجامعة العثمانية بعد عودته من أوربا، كما أنه كان يدرّس بقسم الحقوق (القانون) جزئياً. ثم نقل إلى قسم الحقوق بعد تولّى الدكتور منصبه بالمحكمة. (9)

وما زال محاضراً بها إلى أن عينّه مير عثمان علي خان، نظام (سلطان) حيدرآباد سفيراً لدولة حيدرآباد المستقلّة لدى الأمم المتحدة في عام 1948م. فغادر بلاده متوجهاً إلى مقرّ الأمم المتحدة سفيرًا لدولته في سيبتمبر 1948م.

فلمّا كان في طريقه إلى مقرّ الأمم المتحدة، أخبر بسقوط الدولة الآصفية وسيطرة الجيش الهندي على حيدرآباد الدكن بقيادة الجنرال جاى أنت ناتهه جودهري في منتصف شهر سيبتمبر من العام 1948م، بعد وفاة القائد الأعظم محمد علي جناح (م 11 سيبتمبر 1948م، كراتشي) الحاكم العام لدولة باكستان بأيام. فآثر الإقامة في باريس ولم يعد إلى بلاده المحتلّة أبداً (10).

وكانت دولة حيدرآباد الدكن أعلنت استقلالها في أغسطس 1948م بقيادة سلطانها مير عثمان علي خان (نظام حيدرآباد) بعد أن قررّت الملكة البريطانية تقسيم الهند إلى دولتي باكستان والهند المستقلتين و أذنت لجميع الولايات الهندية شبه المستقلة تحت التاج البريطاني بالانضمام إلى إحدى الدولتين أو الاحتفاظ بحريتها كدول مستقلة مثلهما. فآثرت دولة حيدرآباد

الدكن الإستقلال على الإنضمام إلى إحديهما و أخبرت لورد مونت بيتون، الحاكم العام للهند من قبل ملكة بريطانية بقرارها.

وكانت دولة حيدر آباد الدكن المستقلة تحيط بمساحة تزيد على 80,000 ميل مربع بقيادة الأسرة النظامية المسلمة و بأغلبية الهندوسيين خارج العاصمة و بعض المدن الأخرى، ومن حيث المجموع. وكان ذلك معاكساً لولاية جمون و كشمير المتحدة المحيطة بمساحة تقارب 85,000 ميل مربع بملكية مهاراجه هرى سنغ (1925-1947م) من أسرة دوغرة الهندوسية وبأغلبية المسلمين الغالبة فيها. وكانت أسرة دوغرة اشترتها من الاستعمار الإنجليزى بثمن بخس. فكان الحكّام الإنجليز باعوا ولاية جمون و كشمير لغلاب سنغ دوغرة بسبعة ملايين ونصف مليون (7,500,000) من نقود نانک شاهي تحت "ميثاق أمرتسر" في عام 1846م.

فسيطرت دولة الهند على دولة حيدر آباد الحرّة ذات الحكومة المسلمة والأغلبية الهندوسية في سيبتمبر 1948م كما أنها، كانت سيطرت على ولاية جمون و كشمير ذات الحكومة الهندوسية والأغلبية المسلمة فى 27 أكتوبر 1947م. وملف "قضية حيدر آباد الدكن" محفوظ بين ملفّات الأمم المتحدة مع ملفات "قضية جمون و كشمير" لأكثر من نصف قرن منادياً بالالتفات إليها، فهل من مغيث أو مجيب؟

وكان مير لائق على خان آخر رئيس الوزراء لدولة حيدر آباد الدكن التي كانت لعبت دوراً كبيراً حاسماً لعدة قرون في نشر اللغات والعلوم والآداب المتنوعة ولا سيّما اللغتين العربية والأردية والآداب العربية والإسلامية في جنوب الهند و شبه القارة الهندية كلّها، وعلى نطاق واسع.

فكانت دمشق العجم و بغداد الهند و قرطبة الشرق لغة و آداباً لحقبة من الزمان. (11) ولا تزال تحاول الاحتفاظ بهويتها العلمية والثقافية ومجدها التليد الغابر فأنّى له ذلک إلا ماشاء اللّٰه. وصدق اللّٰه العظيم إذ قال:

و إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله

و تلک الأيام نداولها بين الناس... (12)

وقال: إنّ الملوک إذا دخلوا قرية أفسدوها

وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلک يفعلون. (13)

وعلى كل حال كان ممدوحنا الدكتور حميداللّٰه حزن على احتلال بلاده حزناً شديداً. فلم يرغب في العودة إلى دولته المحتلّة بل كره الذهاب إلى بريطانيا أيضاً كرهاً شديداً. فدعاه البروفيسور خورشيد أحمد رئيس "المؤسسة الإسلامية" في ليستر (بريطانيا) مرّة إلى المشاركة في برنامج "المؤسسة الإسلامية" بها، فاعتذر له بقلب حزين قائلاً:

لا أحبّ أن أضع قدمي على أرض إنجلترا

البلد الذي جعل بلدي الحرّ مملوكاً للهند. (14)

وأقام الدكتور حميداللّٰه في باريس عاصمة فرنسا بعد احتلال موطنه حيدرآباد في عام 1948م. وقضى معظم حياته الباقية بها(1948–1995م) كلاجئ محتفظاً بجنسية و جواز دولة حيدرآباد الدكن الحرّة و قانعاً بوثيقة السفر الفرنسية التي كانت توجب عليه العودة إلى فرنسا قبل انتهاء مدة كل ستة أشهر إذا كان مسافراً إلى دولة أخرى. فلم يرغب في الجنسية الفرنسية التي كانت سهلة الحصول له. (15) ومادام ذاكراً لدولته المحتلّة التي لم تبک عليها السماء ولا الأرض لمّا محيت من خارطة العالم، فظهرت كإقليم

من أقاليم الدولة الهندية باسم "آندهرا براديش" عاصمتها مدينة حيدرآباد. وإنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

وكان آثر الإقامة في باريس عاصمة فرنسا لأهميتها و خطورتها كمدينة العلوم والثقافة والمكتبات. فلما سئل عن اختياره باريس للإقامة الدائمة قال:

"إن المعهد العلمي مثل "المركز الوطني للبحوث العلمية" لا يوجد في مكان آخر. وثانياً، توجدبها مكتبات كبرىٰ متضمّنة مابين ثمانية و عشرة ملايين من الكتب. فتوجد هنا مكتبات مختصّة بمواضيع خاصة (مثلاً "العالم العربي") توجد بها كتب اللغات المختلفة المتعلّقة بموضوع في موضع واحد. وتضمّ مكتبة اللغات الشرقية ثلاثة ملايين من الكتب. والبئية علمية و هادئة بالنسبة للأماكن الأخرى". (16)

وأخبرنا الدكتور حميدالله بأن مائة ألف فرنسي قد اعتنقوا الإسلام إلى الآن في باريس فقط (1992م). ويزيد عدد المساجد بها على مائة مسجد. ويعتنق مابين الثمانية والعشرة من الفرنسيين الإسلام كل يوم، بينهم عدد كبير من النسوة أيضاً. (17)

والتحق الدكتور حميدالله "بالمركز الوطني للبحث العلمي" في باريس (Centre National de la Recherche-Scientifique). فمازال ملتحقاً به إلى أن تقاعد بعد عشرين عاماً على الأقل. وكان استحق راتباً شهرياً ثم معاش التقاعد الذي كان يغنيه عن حاجاته اليومية اليسيرة من الطعام والثياب والمقتضيات المالية الشخصية الأخرى. فكان قليل النوم والطعام

والكلام. وكان من العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج أو كان قدّرلهم ذلك.

وأقام الدكتور محمد حميدالله في باريس قريباً من نصف قرن (1948–1995م) مشتغلاً بالبحث والتحقيق والدعوة والتبليغ والتصنيف والتأليف والدرس والتدريس، كما أنه ألقى أكثر من إلقاء المحاضرات في المراكز العلمية والجامعات المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها. وكان ملتحقاً بجامعة إستانبول التركية العريقة خاصة. فكان يقضي بها أشهراً كل عام لحقبة من الزمان. وكان يجيد كثيراً من اللغات الشرقية والغربية، وعلى رأسها العربية والفارسية والأردية والتركية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية. فتحدّث وألّف وألقى المحاضرات بها. (18)

ويزيد عدد مؤلفاته على مائة كتاب، كما أنّ عدد محاضراته القيّمة لايقل عن ألف محاضرة باللغات المذكورة آنفاً. (19)

وكان أسلم على يده أكثر من ثلاثين ألفاً من سكان فرنسا. (20) وطبعت ترجمته لمعاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية عشرين طبعة في حياته، بلغت كل طبعة إلى عشرين ألفاً من النسخ. (21) ويدلّ ذلك كلّه على من كان حميدالله وكيف كان.

وكان الدكتور حميدالله أبيض اللون، طويل القامة، نحيل الجسم، حلو الكلام، متواضعاً حليماً و قوراً نشيطاً، متثقفاً بالثقافات الشرقية والغربية، محتفظاً بهويته الإسلامية، متزياً بالزي الغربي والشرقي في المناسبات المختلفة. فكان يلبس الطربوش والزي الحيدرآبادي المشتمل على الفروة الطويلة والقميص والإزاريشبه السراويل (شيرواني، كرتا، باجامه) في كثير

من الأحيان. وكان أعفى لحيته في آخر حياته. (22)

وكان يسكن شقّة متواضعة مستأجرة بالطابق الرابع في بناء قديم لاهاتف فيها ولا السلّم الكهربائي في المبنى. فكان ينزل و يرتقي السُلَّم الخشبي مراراً كل يوم مثل الشباب إلاّ في السنين الأخيرة من حياته الفانية. وكانت شقّته المتواضعة القديمة الصغيرة مملوء ة بالكتب من فرشها إلى عرشها ومن شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها. وكان يحاول إنقاذ بعض نواحيها لأمتعتها اليسيرة من السرير والطاولة والكراسي والملابس القليلة وأدواة الطبخ، فلم يجد بداً من وضع الكتب على كثير من أماكنها في كثير من الأحيان.

فكانت الكتب سيطرت على فراشه وطاولاته و كراسيه و غيرها من الفراغات المتفرقة داخل الغرف والمطبخ. (23) وكانت هذه المكتبة المشتملة على آلاف الكتب القيّمة باللغات المختلفة، بما فيها كثير من مؤلفاته و مقالاته، متاعه الوحيد المحبّب إليه كحب المجنون (قيس) لحبيبته ليلى بل أشّد من ذلك.

وكان هذا المجنون في سبيل العلم والدين وقف مكتبته المحببّة إليه لطلاّب العلم والباحثين لمّا يئس من ا لاستفادة منها في آخر حياته وقبل انتقاله إلى فلوريدا بالولايات المتحدة الأميريكية في عام 1995م أو بعده.

وكان يطبخ طعامه و يأكل الخضروات كثيراً لعدم توفر الحلال حتّى كان ترك أكل الجبن بعد أن ظنّ أنه ممزوج بشحم حرام. وكان يقوم بأموره الشخصية بنفسه من غسل الثياب وجمع الفاتورات في البنك وغير ذلك. وكانت خادمة فرنسية تقوم بأموربيته لحقبة من الزمان، ثم عوّل على نفسه

كلياً في آخر حياته.

ولم يقدّرله أن يتزوج و يرزق بأولاد. فعاش وحيداً ديّنًا عفيفاً لا أنيس له ولا جليس. فوقف حياته كما شاء الله لاشتغالاته العلمية والدينية مثل الإمام البخاري (م 256هـ) وعلي بن عثمان الهجويري (م بعد 475هـ) وابن تيمية (م 728هـ) وجمال الدين الأفغاني (م 1897م) وبديع الزمان سعيد النورسي مجدّد تركيا (م 1964م) وسيّد قطب (م 1966م) وأمثالهم من رجال الفكر والدعوة الذين حرموا من الزواج ولم يكتب لهم الأولاد. والأمة مدينة لهم لخدماتهم وتضحياتهم و دورهم الكبير الذي لعبوه في سبيل نشرالدين وعلومه و مقاومة أعداء الإسلام. فأين مئات الملايين من أصحاب الأزواج والأولاد منهم في الدنيا والآخرة. (24)

ومرض الدكتور حميدالله مرضاً شديداً في عام 1995م. وكان لايدّخر لنفسه شيئاً مما كان يعطى من الجوائز والعطايا في مختلف أنحاء العالم بل كان لايقبلها، وإذا كان أكره على القبول، وقفها على الفور للإسلام والمسلمين وأبناء الإنسانية في نفس البلاد أو خارجها. وكان وقف الأموال المكسوبة من مؤلفاته لمؤسسة إسلامية في فرنسا. وكان ينفق على نفسه ماكان يأخذه من معاش التقاعد والأموال الشخصية اليسيرة الأخرى. فروي أنه كان ذهب إلى بنكه في باريس ليخرج من حسابه الخاص ما يغنيه عن حاجاته اليومية اليسيرة، فعلم هناك أنه لم يبق في حسابه شيٌ بعد أن كان أخرج بعض الأشقياء السارقين من حسابه زوراً كلّ ماكان جمعه فيه. فأصيب بصدمة شديدة ولكنّه لم يخبر أحداً بتلك المأساة ولم يسأل أحداً شيئًا.

وبقي الدكتور حميدالله بلاطعام ثلاثة أيام. ثم أغمي عليه ضعفاً

وحـزنـاً على ماكان حدث بجامع فى باريس. وكان صلّى ودرّس وبلّغ بجوامع بـاريس عشرات السنين. فنقل إلـى الـمستشفى وانكشف للطبيب بعد فحصه أنه كان جائعاً منذ ثلاثة أيام. (25) فشفى له بعد مدة وانتقل إلى داره.

ولـكـنّـه لـم يشف مـن مـرضه كليًا. فذهب إلـى الـولايـات المتحدة الأميريكية في عام 1995م أو بعده. فأقام في بتس بورغ (Pitts Burg) ثم نقل إلى جيكسون ويلي (Jackson Valley). وبقي هناك مريضاً إلى أن توفّي بها فـي السـاعة الـحـادية عشرة والربع قبل الظهر بتاريخ 17 ديسمبر 2002م / 13 شوال 1423 هـ. وكـان نـام بـعـد صـلاة الفجر و توفّي في حالة النوم بعد ساعات. فإنـا لـلّـه وإنا إليه راجعون، ثم إنا للّه و إنا اليه راجعون. و صدق من قال: موت العالِم موتُ العالَم.

وغُسـل و كـفّـن جسـد هذا العبقري المسلم الذي ولد في شبه القارة وعـاش فـي أوربـا و مـات فـي أمـريـكـا. فصلّى عليه مسلم أمريكي وهو سيادة الـدكتـور يـوسف ضيـاء كواك جي إمـام "الإتـحاد الإسـلامـي" بتيكسـاس الشـمـالية (Islamic Association, North Texas). وشـارك فـي صلاة جـنـازتـه مـايـقـارب مائة و خمسة وسبعين (175) مسـلـمـا و دفن بها في 18 ديسمبر 2002م وفـي السـاعة الـحـادية والنصف بعد الظهر. وكان مقيماً في بيت سبطة أخيه لديدة. (26)

وأقيـمـت حفلات التأبين له في بلاد الشرق والغرب على نطاق واسع لـمـا شاع خبر وفاته. وحزن العالم العربي وا لإسـلامي والشرقي والغربي على وفـاة هذا العبقري النابغة من عباقرة القرن العشرين و نوابغه. وقلّما تجد العالم حـزيـنـاً عـلـى موت أحدٍ مثل ماحزن على فقد الدكتور محمد حميدالله الذي

عـاش حـميـداً ومـات سعيداً. وصدق من قال: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي. (27)

ما كان قيس هلكه هلك واحد

ولـكـنـــه بـنيـان قـوم تهـدّمـا

وكـان الدكتور حميدالله ديّناً عفيفاً ورعاً متقياً زاهداً في الدنيا متنفراً من الشهرة والمشتهيات الدنيوية الأخرى. وكان يكره أن يُصوّر كرهاً شديداً. فكـان يـكـره التلفزيون أيضاً لتحريم الصورة. وكان غيّوراً جسوراً جريئاً على قول الحق بكل وضوح و صراحة ولكن في لهجه لينّة هادئة.

وكـان كـلّـمـا أعـطـي شيـئـاً من الأموال من قبل الحكومات والدول والـمؤسّسـات والشـخـصيـات، وقفها على الفور للنشاطات العلمية والدينية والثقـافية ولبنـاء الـمساجد والمعاهد والمدارس في نفس البلاد أو خارجها. فـقـدّمـت لـه حـكـومة بـاكستـان بـقيـادة الرئيس الجنرال محمد ضياء الحق (1977–1988م) جائزة الهجرة (Hijrah Award) عشرة آلاف من الروبيات بـمـنـاسبة مـطلع القرن الخامس الهجري (1400 هـ/1980م). فـاعتذرلها ولم يـقبـل شيـئـاً. فـلما أعطته الحكومة الباكستانية مليون روبية باكستانية اعترافاً بـخـدمـاته في مجال السيرة، وقف هـذا الـمـال الـضـخـم على الفور لمجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية في إسـلام آباد. فلما سئل عن عدم إدّخار شيء مـنـه لنفسه، أجاب بصوته الهادئ المطمئن: إذا كنت أخذت كلّ شيء هـنـا، فـمـا ذا سـآخـذ في الآخـرة؟ فأفحم السائل وهو الدكتور ظفر إسـحـاق الأنـصـارى مـديـر "مـجمع البحوث الإسـلامية" في إسـلام آبـاد. وكـذلك لـمّـا اقتـرح اسـمـه لجائزة الملك فيصل العالمية لخدماته العربية

والإسلامية، اعتذر ولم يقبل شيئاً من الاقتراح ولا الأموال. فكان امتثالاً للحديث النبوي: كن في الدنيا كأنّک غريب أو عابر سبيل. (28)

وكان الدكتور حميدالله لايخاف في الله لومة لائم ولا يخفي رأيه في الأمور العلمية والدينية والتاريخية وغيرها. فلما ألّف السيد سليمان الندوي، وكان من كبار علماء شبه القارة، كتابه الشهير باللغة الأردية المسمّى "عربوں کی جهاز رانی" (ملاحة العرب) وطبع الكتاب في عام 1935م، كتب الدكتور حميدالله رأيه في عشرين صفحة مشتملة على 28عنواناً. فنشره الشيخ سليمان الندوي في مجلة "المعارف" الأردية الصادرة من أعظم كره بالهند (ج38، عدد 6,5) تحت عنوان "الا ستدراک". ثم ضمّه إلى طبعة الكتاب الثانية كملحق تحت عنوان "الاستدراک على ملاحة العرب" (ص 172-192). فزاد الكتاب قيمة وبهاء. (29) ولله درّ المؤلف والمستدرک كلاهما عظيمان مخلصان في عملهما.

وألف الشيخ عتيق الرحمن السنبهلي من علماء الهند المعروفين المقيمين في بريطانيا كتابه الشهير "وقعة كربلاء و منظورها" (واقعه كربلا اور اس کا پس منظر) باللغة الأردية. وطبع الكتاب في عام 1992م بمدينة لكناؤ الهندية مضمّناً "كلمة الافتتاح" (افتتاحية) بقلم أبيه الشيخ محمد منظور النعماني (1905–1997م) الذي كان من أشهر علماء شبه القارة ذوي الشهرة العالمية. فأرسل نسخة منه إلى الدكتور محمد حميدالله في باريس. فأرسل الدكتور حميدالله إليه رسالتين واحدة بعد أخرى من باريس شاكراً له ومادحاً الكتاب. واقترح عليه إضافة الفهارس الفنية إلى آخر الكتاب كما أنه اقترح عليه أن يذكر في الكتاب بعض مؤامرات عبدالله ابن سبا في خلافة

أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه مشيراً إلى أن مأساة كربلاء كانت من نتائج مؤامراته. فسأله في رسالته المرسلة إليه من باريس في 16 أغسطس 1993م باللغة الأردية:

"هل أنت خبير بكتابي" دور اليهود في حربي الجمل والصفين؟
وإذا كنت احتجت إليه، أستطيع أن أرسل إليك الصورة العكسية لطبعتها الإنجليزية الباكستانية".

(کیا آپ میرے رسالے "جنگ جمل و صفین میں یہودیوں کا کردار" سے واقف ہیں؟ اگر ضرورت ہوتو اس کے انگریزی پاکستانی ایڈیشن کا فوٹو سٹاٹ روانہ کرسکوں گا.

نیاز مند: محمد حمیداللہ). (30)

وكان الشيخ عتيق الرحمن ألقى الضوء على وقعة كربلاء مع تجليل الحسين وأنصاره وابن الزبير و غيرهم رضي الله عنهم. ولكنه كان أثبت بالدلائل أن يزيد بن معاوية لم يكن فاسقاً ولا فاجراً كما يروي عامة، ولم يكن ذلك سبب الاختلاف الأساسي بينه و بين الحسين و ابن الزبير وغيرهما من منكري خلافته، بل كانوا لا يؤيّدون استخلاف الابن بعد أبيه كما أنهم كانوا يرون غيره أحقّ بالخلافة صحبة و سيرة ودياناً ونسباً. (31)

وكذلك كان أثبت بالدلائل أنّه لم يكن مسؤلاً عن مأساة كربلاء لأنه لمّا أخبر بأن الحسين رضي الله عنه قتل بعد أنّ قدّم إلى ابن زياد (عن طريق ابن سعد) ثلاثة شروط ومنها إرساله إلى يزيد ليواجهه (فلما أتاه، قال له الحسين: إختر واحدة: إمّا أن تدعوني فأصرف من حيث جئت، وإمّا أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإمّا أن تدعوني فألحق بالثغور، قال: لا، ولا كرامة

حتى يضع يده في يدي، فقال له الحسين: والله لا يكون هذا أبداً. 32)، لعن يزيد ابن زياد على فعله. (33) ولكنّه لم يعزله ولم يعاقبه على فعله لأسباب ومشاكل. ولايدلّ ذلك على أن يزيد كان مسؤلاً عن أمر ابن زياد و فعله، كما أن عليًا أمير المؤمنين، وهو رابع الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، لم يستطع أن يعاقب قتلة عثمان أمير المؤمنين لمشاكل عصره وأحداث خلافته. فلا يدلّ ذلك على أنه كان مسئولاً عن قتل عثمان بن عفان أو راضياً بقتله، بل كان يذمّ قتلة عثمان ويتبرّأ منهم. (34)

ومن العجيب أنّ المؤلّف قد اقتبس من "منهاج السنة" لابن تيمية (ت 728هـ) ومقدمة ابن خلدون (ت 808هـ) وغيرهما في مختلف الأماكن ولكنه لم ينقل من "إحياء علوم الدين" للغزالي، فقال الإمام أبوحامد الغزالي (ت 505هـ) في هذا الصدد:

> فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو آمر به؟
>
> قلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به مالم يثبت، فضلاً عن اللعنة، لأنه لاتجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق. نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً وقتل أبولؤلؤة عمر رضى الله عنهما، فإنّ ذلك ثبت متواتراً. فلايجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق، قال صلى الله عليه وسلم: لايرمى رجل رجلاً بالكفر ولايرميه بالفسق إلاّ ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك، وقال صلى الله عليه وسلم: ماشهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما، إن كان كافراً فهو كما قال، وإن لم يكن كافراً، فقد كفر بتكفيره إيّاه. (35)

وهناك آخرون من كبار العلماء والنقّاد الذين يرون أن يزيد كان مسئولاً عن مأساة كربلاء ويجوز لعنه، وعلى رأسهم ابن الجوزى (ت 596ھ) وسعد الدين التفتازانى (ت 791ھ تقريباً).

وعلى كل حال اشتهر الكتاب في شبه القارة و خارجها اشتهاراً عظيماً، مدحاً و انتقاداً. وكان نقطة التحول في التفكير السُنّي الإسلامي بالهند ولا سيّما بين الملايين المنتسبين إلى دارالعلوم ديوبند و مؤيّديهم من العلماء والمثقّفين المنتشرين في دول شبه القارة و خارجها. وأيّدما أورده الشيخ السنبهلي في كتابه كبار العلماء ذوي الشهرة العالمية والإقليمية. وعلى رأسهم أبوه الشيخ محمد منظور النعماني (1905–1997م، لكناو) صاحب "معارف الحديث" في ثمانية مجلدات، وغيره من الكتب المعروفة على المستوى الإقليمي و الدولي والمترجمة إلى اللغات المختلفة ولا سيّما العربية والإنجليزية، والذي يعتبر من أشهر علماء ديوبند في القرن العشرين. وكان الشيخ عتيق الرحمن سُرّ برأي الدكتور محمد حميدالله في كتابه فقال:

(يقول المؤلّف ببالغ السرور والطمأنينة إن صاحب العلم والفضل مثل الدكتور محمد حميد الله (باريس) شرّف الكتاب باعتنائه و إبداء رأيه فيه، كما أوصى المؤلف ببعض الاقتراحات الثمينة).

"مصنف کے لئے نہایت اطمینان و مسرت کا مقام ہے کہ محترم ڈاکٹر محمد حمیداللہ (پیرس) جیسے صاحب علم و فضل نے کتاب کو اپنی دلچسپی کے اظہار سے نوازا اور بعض گراں قدر مشورے بھی مصنف کو تحریر فرمائے".

عتیق الرحمن سنبھلی

لندن 31، اکتوبر 1998م. (36)

وننقل ترجمة عربية لرسالة من رسالتي الدكتور محمد حميدالله كتبهما باللغة الأردية إلى الشيخ عتيق الرحمن السنبهلي بعد تسلّم كتابه فأوردهما بعد مقدمته للطبعة الثالثة للكتاب (فبراير 2000م، مكتبة الفرقان، لكناو، الهند). وقد عمل فيه بتوصيات الدكتور حميدالله مضيفاً إليه الفهارس الفنية وبعض المواضيع المتعلقة بحربي الجمل والصفّين وقتل عثمانؓ أمير المؤمنين و مؤامرات بغاة عثمان وطبيعة الكوفيين ومؤامراتهم في البابين الثاني والثالث كما أنه أضاف ملخص البحث بعنوان "الكلمة الأخيرة" (إختتاميه) إلى آخر الكتاب.

.....

باسمه تعالى حامداً و مصلياً

14 جمادى الأولى 1413ھ

4 Rue de Tournon,

Paris-6, France.

مخدومي و محترمي مدّظلكم

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

(تسلّمت قبل أيام الهدية الثمينة "وقعة كربلاء ومنظورها" فشرّفتموني بها. وتأخرّت في إعلامكم بتسلّمي الكتاب لبعض أشغالي الفورية فاعفوا عنّي.

والكتاب بمشيئة الله مملوء بالمعلومات.

وأعرض عليكم اقتراحين، ولا يجب أن يكون رأيي أفضل بهذا الصدد:

1- ليت الكتاب يتضّمن الفهارس الفنية (Index) لتسهيل الاكتشاف.

2- ولو كانت ذكرت مؤامرات ابن سبا ضمن استشهاد سيدنا عثمانؓ،

لكان مناسباً، لأن مأساة كربلاء هي من عواقبها، ولا سيمّا رسالة سيدنا عثمان إلى والي مصربأن محمد بن أبي بكر إذا وصل إليها، قتُل (دغب) فكان كتبها ابن سبا زوراً.

حفظكم الله و عافاكم،

خادمكم: محمد حميدالله. (37)

.....

مؤلفات الدكتور حميد الله

ألّف الدكتور محمد حميدالله (1908–2002م) كتباً كثيرة باللغات العربية والأردية والإنجليزية والفرنسية والألمانية و غيرها. وله محاضرات كثيرة باللغات المذكورة و باللغة التركية والفارسية والإيطالية والروسية وغيرها. فزاد عدد مؤلفاته البسيطة والوجيزة على مائة كتاب، كما أنه تجاوز عدد مقالاته و محاضراته باللغات المختلفة عن ألف مقال و محاضرة طبع معظمها. (38) ومن مؤلفاته و مقالاته باللغات المختلفة كما يلى:

(باللغة العربية)

1- صحيفة همّام بن منبه

(عربي، اردو، تركي، إنجليزي، فرنسي)

2- الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة

(الطبعة الخامسة، بيروت، 1985م)

3- أقدم آثار تدوين الحديث كتابة

(مجلة الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، ج 16، 1985م).

4- هل خالف النبي عليه الصلاة و السلام
أوامر الآية، مثنى و ثلاث و رباع؟
(مجلة الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، أكتوبر. ديسمبر 1989م، ص 5-12)

5- التاريخ المقارن للقرآن الكريم والصحف السماوية الأخرىٰ
(مجلة الأمة، قطر، 1982م)

6- تدوين القرآن و تراجمه
(مجلة الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، 1985م)

7- الاجتهاد في عصر الصحابةؓ
(مجلة الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، 1984م)

8- هل للقانون الرومي تأثير على الفقه الإسلامي؟
(بيروت، 1973م)

9- الحجر الأسود يمين اللّٰه على الأرض
مجلة الفكر الإسلامي، بيروت،
أكتوبر 1982م، ص 99-101

10- فتح الأندلس في خلافة سيدنا عثمانؓ
إسلام تدقيقلرى انيس تى توسو درگيسى،
جامعة إستانبول، ج7، 1978م

11- المصادر الإسلامية لداروين في نظريته عن أصل الأنواع
(مجلة الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، ج16، 1981م) (39)

(باللغة الأردية)

1- صحیفه ہمّام بن منبه

(حدیث: قدیم ترین مجموعه اور تاریخ تدوین حدیث)

طبع قدیم، حیدر آباد دکن

عربی، اردو، ترکی، انگریزی، فرانسیسی ایڈیشن

2- دورِ نبوی میں نظام حکمرانی

(نظام الحكم في العصر النبوي)

3- رسول اکرمؐ کی سیاسی زندگی

(حياة الرسول الأكرمؐ السياسية)

4- عہد نبوی کے میدانِ جنگ

(ساحات القتال في العصر النبوي) طبع حیدرآباد دکن

نیز فارسی، ترکی، انگریزی، فرانسیسی ایڈیشن

5- دور نبوی کے واقعات کے لئے تقویمی پیچیدگیاں

(المشاكل التقويمية لوقائع العصر النبوي)

مجلة الكلية الشرقية (اورینٹل کالج میگزین)، لاهور، اگست 1964م

6- امام ابو حنیفه کی تدوین قانون اسلامی

(تدوين الإمام أبي حنيفة للقانون (الإسلامی)

طبع سادس، کراچی 1983م.

7- قانون بین الممالک کے اصول اور نظیریں
(المبادي والنظائر للقانون الدولي)
طبع حیدر آباد دکن، 1936م.

8- قانون بین الممالک کی تازہ ترین ترقیاں
(أحدث التطورات في القانون الدولي)
مجلہ طیلسانیین، حیدرآباد دکن، 1941م

9- روزہ کیوں؟ (الصوم، لماذا؟)
طبع حیدرآباد دکن، 1979ء
(نیز ترکی، انگریزی، فرانسیسی ایڈیشن)

10- **رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم**
(ترجمہ: نذیر حق، من الإنجلیزیة إلی الأردیة)

11- **بدر، بعثت، ثقیف، حدیبیة، حلف الفضول، حنین، خط، خندق، خیبر**
مقالات، اردو دائرة معارف اسلامیة،
جامعة پنجاب، لاهور، پاکستان

12- **خطبات بهاول پور (محاضرات بهاول بور)**
إداره تحقیقات إسلامی، إسلام آباد، طبع ثانی 1988م... (40)

باللغة الانجليزية

(ENGLISH)

1- **Muslim Conduct of the State**

(7th edition, Lahore, 1977. Also in Turkish).

2- **The First Written Constitution in the World**

(3rd edition, Lahore, 1975).

3- **Muhammad Rasul Allah**

(Hyderabad-Deccan, 1974, Also in Turkish).

4- **Introduction to Islam**

(Kuwait, I.I. F.S.O, 1977.

Also in French and translated into many other languages).

5- **The Battlefields of the Prophet**

(3rd edition, Hyderabad-Daccan, 1938,

Also in Turkish, Persian and French).

6- **The Prophet's Establishing a State and his Succession**

(Hyderabad- Deccan, 1986).

7- **Sahifah Hammam ibn Munabbih**

(Hyderabad, Deccan, Revised Edition 1979.

Also in French).

8- **The Nasi, the Hijrah Calendar and the Need of Preparing a New Concordance of the Hijrah and Gregorian Eras**

(Islamic Review, Working, February, 1969).

9- **Administration of Justice under the Early Caliphate**

Journal of Pakistan Historical Society, January, 1971).

10- **Constitutional Problems in Early Islam**

(Islam Tetkikleri Estitusu Dergisi, Istanbul University, 1973.

11- **The City-State of Mecca**

(Islamic Culture, Hyderabad-Deccan, 1983).

12- **Some Arabic Inscriptions of Madinah, of the Early Years of HIjrah**

(Islamic Culture, Hyderabad- Deccan, 1939).

13- **The Friendly Relations of Islam with Christianity and how they deteriorate.**

(Journal of Pakistan Historical Society, Karachi, 1953).

14- **New Light on the Character of Abu Sufyan, the Companion of the Prophet.**

(Islamic Literature, Lahore, 1953).

15- **Budgeting and Taxation in the Time of the Holy Prophet**
(Journal of Pakistan Historical Society, Karachi, 1955, and Islamic Review, working, 1956).

16- **Two Christians of Pre Islamic Mecca, Uthman ibn al Huwairith and Waraqah ibn Naufal**
(Journal of Pakistan Historical Society, Karachi, 1959).

17- **The Service of Worship: Why in Arabic Alone?**
(Islamic Review, Working 1964).

18- **The Christian Monk Abu Amir of Madina, of the Time of the Holy Prophet**
(Journal of Pakistan Historical Society, Karachi, 1959).

19- **The Emergence of Islam**
(Translated and edited by Afzal Iqbal, Islamabad. Islamic Research Institute, First Edition 1993)... (41)

.....

باللغة الفرنسية

(FRENCH)

1- **Le Prpphete de I,Islam, sa vie et son oeuvre,**
(Paris, 2 Vols. 4th Edition, 1979).

2- **La Diplomatie musulmane a l`epoque du Prophete et des Khalifes Orthodoxes** (2 vols., Paris, 1935).

3- **Six Originaux des lettres diplomatiques du Prophete de l'Islam,** (Paris, 1986)

4- **Le Saint Coran** (Paris, 13th Edition, 1985).

5- **La psychologique des grands ennemis du Prophete,**
(Revue des Études Islamiques, Paris, 1965).

6- **La philosophie juridique chez les Musulmans,**
(Annales de la Faculté de droit, Istanbul, Nos. 29-32, 1986).

7- **Le chef de l'état musulman a l`epoque du Prophete et ses Khalifes**
(Monocratie, Société Jean Bodin, Bruxelles, 1970).

8- **Le premier empire musulman du temps du Prophete et de ses trois successeurs,**
(Grands Empire Societe, Jean Bodin, Bruxellers, 1973).

9- **Sur la trace du Saint Prophéte dans ses voyages en Arabie de l'Est**
(Paris, France-Islam, Nos. 93-95, 1975).

10- **Les voyage du Prophete avant l'Islam**
(Bulletin d'Etudes Orientales, Damas, Vol. 29, 1977 Mélange Henri Laoust).

11- **Le monde musulman devant l'economie moderne**
(Cheirs de l'Institute de science économique appliquée, section, Humanité, suppl, 120, Paris, 1961).

12- **Les liens entre la religion et le droit en Islam,**
(Recherches et Débats de Centre Catholique, des Intellectuels Franc,ais, Paris, cahier 51, 1965).

13- **Le règne conjoint, la théorie et la pratique islamique,**
(Rivista deli Studi Orientali, Rome, 1953).

14- **Les Ahabish de la Mecque,**
(Présentation Volume to Levi della Vida Rome, 1956).

15- **al-ilaf ou les rapports économico-diplomatiques de la Mecque préislamique,**
(Presentation Volume to Louis Massignon, Damas-Paris, 1957).

16- **L'histoire de l'usul al-fiqh chez les musulmans,**
(Annales de la Faculté de droit, Istanbul, Nos, 9-11 1959).

17- **La date de naissance du Prophète Muhammad.**
(France-Islam, Nos, 28-29, 1969, Paris).

18- **Les villages arabes (surtout Médine) au temps du Prophete,**
(Communautés rurales, Société Jean Bodin, Bruxelles, 1982).

19- **Document inédit sur les débuts de l`Islam, en Iran.**
(Connaissance de l`Islam, Paris, N. 12, 1982).

20- **Pourquoi Jeuner? (Paris, 1984).**

21- **Le pelerinage, (Paris, 1984).**

22- **La symbolique en Islam,**
(Edition rev. Paris, 1987) ... (42)

باللغة الألمانية

(GERMAN)

1- **Die Neutralität im islamischen Volkerrecht,**
(ZDMG, Berlin, 1935).

2- **Theorie und Praxis des Volkerrechts im frühen Islam,**
(Käiros, Salzburg / Austria, 1963).

3- **Die Bibel als eine Kononische Quelle**
des Islamischen Rechts,
(Festschrift Für Otto Sples, Bonn, 1967).

4- **Ästhetik und Kunst in der Lehren des Propheten,**
(Proceedings of International Congress of Orientalists, Munich, 1959 ..... (43)

.....

تعريف موجز ببعض مؤلفاته

لاشكّ في أن مؤلفات و مقالات الدكتور حميدالله التي تزيد على مائة كتاب و ألف مقال نادرة المثال كلها عند العلماء والباحثين. ولكنه اشتهر ببعض مؤلفاته و مقالاته خاصة، ولا نقدر على التعريف بها جميعاً. فلنذكر بعضها، فما لا يدرك كلّه، لايترك كلّه. ومنها:

1- ترجمة معاني القرآن الكريم
(باللغة الفرنسية)
Le Saint Coran

هي ترجمة فرنسية لمعاني القرآن الكريم للدكتور حميدالله مع تعليقات أدبية بليغة مؤثّرة في قلوب الناطقين باللغة الفرنسية في فرنسا وأوروبا و كندا و دول غرب إفريقيا و شمالها وفي جميع أنحاء العالم. فساعدت في فهم القرآن و نشر دعوة الإسلام مساعدة كبيرة. ويدلّ على ذلك طبعها عشرين مرّة على الأقل في حياة الدكتور محمد حميدالله، وكان كل طبعة تشتمل على عشرين ألف نسخة. (44)

2- ترجمة معاني القرآن الكريم
(باللغة الألمانية)

اعتنى الدكتور حميدالله بترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية أيضاً مع السيدة حاجة طاهرة التي اعتنقت الإسلام ووقفت حياتها للإسلام. (45)

فلما زار الدكتور حميدالله لاهور في السبعينيات للحضور في ندوة علمية رسمية في زمن رئيس الوزراء ذوالفقار علي بهوتو (1973–1977م) انتهز فرصة فترة و جيزة وقدم على الأستاذ أبي الأعلي المودودي وقت صلاة الظهر. فدهش و سُرّ العلامة المودودي بزيارة صديقه القديم مفاجأة. وتحدّث إليه قبل صلاة الجماعة في بيته و اقترح عليه إضافة مقدّمة تفسيره "تفهيم القرآن" (المبادئ الأساسية لفهم القرآن) إلى ترجمته لمعاني القرآن باللغة الفرنسية.

وكان الأستاذ المودودي من مواليد حيدرآباد وصديقاً للدكتور حميدالله. وكان ألّف كتاباً باسم "دينيات" (مبادئ الإسلام) في حيدرآباد الدكن قبل تأسيس "الجماعة الإسلامية" بالهند (أغسطس 1941م). فاشتهر الكتاب اشتهاراً عظيماً بمرور الزمن و ترجم إلى أكثر من ثلاثين لغة شرقية و غربية. و روي أن الدكتور حميدالله قام بترجمته إلى اللغة الفرنسية.

وأخبره الدكتور حميدالله بانتشار الإسلام في فرنسا، كما أنه أعلمه باشتغاله بترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية باشتراك حاجة طاهرة التي اعتنقت الإسلام ووقفت حياتها للإسلام. (46)

3- صحيفة همام بن منبّه

(الصحيفة الصحيحة)

يعتبر تحقيق "صحيفة همّام بن منبّه" من خدمات الدكتور حميدالله الجليلة في مجال الحديث النبوي. فكان يتوّهم كثير من العلماء والباحثين والمستشرقين أن كتابة الحديث النبوي و تدوينه يرجع إلى القرنين الثاني والثالث للهجرة لمّا ألّفت كتب الحديث الشهيرة. وعلى رأسها الموطّا للامام

مالک (ت 179ھ) والمسند للإمام أحمد بن حنبل (ت 241ھ) وصحيح البخاري (ت 256ھ) وصحيح مسلم (ت 261ھ) والسنن لأبي داؤد السجستاني (ت 275ھ) والجامع الصحيح للترمذي (ت279ھ) والسنن للنسائي (ت 303ھ) والسنن لابن ماجة (ت 275ھ).

وكان الدكتور حميدالله وجد نسخة خطية من صحيفة همّام بن منبه تلميذ أبي هريرة رضي الله عنه (ت 59ھ، بالمدينة)في برلين بألمانيا. وكانت المخطوطة ناقصة ورقتين، فكتبها بخطه. وما زال باحثاً عن نسخة أخرى لها عشرين سنة حتى وجدها أخيراً في "المكتبة الظاهرية" بدمشق بإرشاد من الأستاذ الجليل الدكتور محمد زبير الصديقي من جامعة كلكتة (بنغال الهندية). فأعطاه الباحث الشهير الدكتور صلاح الدين المنجّد صورة عكسية لها. فكان سعيهما مشكوراً عند الدكتور حميدالله، فشكر هما شكراً جزيلاً في مقدّمة "الصحيفة" المطبوعة. وكانت نسخة دمشق كاملة جليّة. وكان الدكتور زبير الصديقي ترک أمر طبعها للدكتور حميدالله متطوّعاً. واستفاد الدكتور حميدالله من بعض مقالاته القيمّة المتعلّقة بتدوين الحديث النبوي كما ذكر في المقدمة. (47) وكان اعترف بعظمة أستاذه الجليل بالجامعة العثمانية الشيخ مناظر أحسن الجيلاني كما أنه اعترف بالاستفادة منه ومن مؤلفاته ولا سيّما "تاريخ تدوين الحديث" له.

وكان همّام بن منبّه من اليمن ومن التابعين. فجاء إلى المدينة المنورة طلباً للعلم و حضر عند أبى هريرة رضى الله عنه الذي كان يمنياً مثله و روي عنه من الأحاديث النبوية مالم يروعن غيره تعداداً. فدوّن له ما يقارب مائة وخمسين حديثاً في رسالة يتعلّق معظمها بمكارم الأخلاق. وكان أبوهريرة

أملاها على همّام بن منبّه، فسمّيت "الصحيفة الصحيحة". (48)

و أثبت الدكتور حميدالله أن هذه الرسالة الخطية مروية عن راوي دمشق محمد بن عبد المسعودي بسند صحيح إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. و رويت الصحيفة جيلاً بعد جيل رواية مستقلة من ناحية، ومن ناحية أخرى أوردها المحدّثون في مدوناتهم جزئياً أو كليًا. وكان على رأسهم الإمام أحمد بن حنبل (م 241 هـ) الذي ضمّها إلى "المسند" له بأكملها. ويثبت ذلك صحة النسخ الخطية التي وجدها الدكتور حميدالله في العصر الحديث كما أنها تؤيد صحة مسند الإمام أحمد الذي يضّم هذه المجموعة الراجعة إلى أبي هريرة رضي الله عنه و تلميذه همام بن منبه في منتصف القرن الأول الهجري. (49)

وتعتبر مقدّمة الدكتور حميدالله لصحيفة همّام بن منبّه المطبوعة بتحقيقه نادرة المثال تؤيّد كتابة و تدوين الحديث النبوي في العصر النبوي والقرن الأول الهجري بخلاف الفكرة الشائعة أن الأحاديث النبوية جمعت و ألّفت في القرنين الثاني والثالث، فلذلك لا اعتبار لإسناده و متونه ولا يخلو من ريب و شك سنداً و متناً.

و بدأ الدكتور حميدالله مقدّمته لصحيفة همّام بن منبّه بسياسة وحكمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مجال التعليم، و أنهاه بذكر صحيفة همّام. فذكر تدبيره عليه السلام لإشاعة القراءة والكتابة و كتّابه عليه السلام والختم الرسمي له. وتدلّ على أهمية الكتابة عنده عليه السلام إجراءاته لكتابة القرآن الكريم و وثائق العقود والمواثيق و غير ذلك. وذكر الدكتور حميدالله ثمانية من الصحابة الكرام رضي الله عنهم الذين كتبوا

الوثائق المختلفة باذن من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فذكر ثمانية من أصحابه عليه السلام الذين كانوا عندهم تراث مكتوب من الحديث النبوى بدأ من ''الصحيفة الصادقة'' وانتهاء "بالصحيفة الصحيحة". (50)

والأمة مدينة للدكتور حميدالله الذي أثبت حجية الحديث وحفظه بالكتابة في العصر النبوي و عصر الصحابةؓ إثباتاً علمياً مراعياً بأسلوب المحقّقين والباحثين من المستشرقين و مؤيّديهم من المسلمين في القرن العشرين.

وكان الدكتور حميدالله بدأ العمل بمآخذ "صحيح البخاري" في عام 1942/3م. فعلم أن الإمام عبدالرزاق الصنعاني (م 211ھ) صاحب ''المصنف'' الذي لم يكن مطبوعاً آنذاك، هو مأخذ هام من مآخذ الإمام البخاري. فبحث عن عدد الأحاديث المروية في ''صحيح البخاري'' عن طريق الإمام عبدالرزاق الصنعاني. ثم أعلم بأنّ الإمام عبدالرزاق كان رتّب تراثه الحديثي في تأليف، فلذلك لا يصحّ قول من قال أن الروايات المذكورة مابين الإمام البخارى والصنعانى لا أساس لها علمياً. ثم أخبر بأن المحدّث معمر بن راشد أستاذ عبدالرزاق هو من أهم مآخذه الذي لم يكن كتابه مطبوعاً إلى بداية الأربعينات وهو مطبوع الآن باسم "جامع معمر". وذكر خاصة مآخذين من مآخذ معمر بن راشد في الحديث، أحدهما عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي كتب عنه في جميع كتب الحديث أنه كان جمع مجموعة من الأحاديث في الحياة النبوية سميّت ''الصحيفة الصادقة'' تضمّ خمسمائة حديث. و ثانيهما مجموعة أخرى رتّبها تلامذة أبي هريرة رضي الله عنه، ولا سيّما همّام بن منبّه.

فأثبت بالإشارة إلى معمر بن راشد أن مجموعة من مؤلفات الحديث مشتملة على خمسمائة روايات كانت مهيّاة في الحياة النبوية. فاستفاد منها معمر بن راشد، فنقلها إلى عبدالرزاق الذي نقلها إلى الإمام البخاري. فألّف كتابه "الجامع الصحيح" الذي فاق الكتب الأخرى المذكورة شهرة لجودة ترتيبه وجامعيته. فأثبت بهذا البحث الدقيق العميق الذي أنفق فيه عدة سنين أن تراث الحديث النبوي لم يكتب في القرنين الثاني والثالث، بل كان مكتوباً في عصر الرسول عليه السلام و عصر الصحابة رضي الله عنهم، و عوّل الإمام البخاري وغيره من الأئمة المتاخّرين عليه. فالإسناد متصل و حجية الحديث ثابتة لاريب فيها. (51)

4- الوثائق السياسية في العصر النبوي و الخلافة الراشدة

(الطبعة الثانية: لجنة التأليف والنشر

القاهرة 1956م، و بيروت 1985م)

جمع الدكتور حميدالله الرسائل والفرامين لرسول الله صلى الله عليه وسلم و خلفائه الراشدينؓ المكتوبة إلى رؤساء الدول و أمراء القبائل وسادة الأمم. فقسّمها إلى قسمين، قسم للعهد النبوي وآخر لعصر الخلافة الراشدة. وراعى الترتيب الزمني في إيراد الرسائل والفرامين النبوية، كما أنه قسّم فرامين الخلفاء الراشدين إلى قسمين، قسم يتعلق بوثائق الروم و آخر بوثائق فارس. وفي آخر الكتاب ملحق يحتوي على الفرامين المنسوبة إلى الرسول عليه السلام والمختصة باليهود والنصارى والمجوس. وفي آخر الكتاب فهرس المصادر والمراجع والفهارس الفنية والإستدراک.

و ترجم الكتاب إلـى لغات عديدة. وكان الدكتور حميدالله سافر من أنـقرة إلـى الـواد الـمـقـدس طـوى (طورسيناء) لتأليف هذا الكتاب. فجال في البلاد و قاسى ألم الفراق. ولله درّه. (52)

5- هل للقانون الرومي تأثير على الـفـقـه الإسلامي؟

ادّعـى كثيـر مـن الـمستشـرقيـن ومن نحا نحوهم أن الفقه ا لإسلامي مـأخـوذ مـن الـقـانـون الـرومـي الـمسيـحـي، فناقـش الدكتور حميدالله هذا الـمـوضـوع في تأليف موجز طبع في بيروت سنة 1973م و ترجم إلـى اللغات الإنجليزية و الفرنسية و الإيطالية و الأردية (معارف، اعظم كره، الهند). فأثبت بـالـدلائل المحكمة و البراهين القاطعة أن الفقه الإسلامي لا يرجع إلى القانون الرومي بل هو مستنبط من القرآن والسنة، فشا ع الكتاب شيوعاً واسعاً. (53)

6- الـسـيـرة النبوية (باللغة الفرنسية)

Le Prophete de' Islam, sa vie et son oeuvre

طبـع الكتاب في مجلدين في باريس سنة 1974م و ترجم إلى اللغتين التـركية و الـسـلافية أيـضاً. بيّن الدكتور حميدالله في هذا الكتاب حياة رسول الـلّـه صـلـى الـلّه عليه وسلم تحت عناوين مختلفة من أنظمة حياته. وهو هدية نادرة لـعشـرات الـمـلايـيـن الـناطقين باللغة الفرنسية في مختلف أنحاء العالم بالإضافة إلى ترجمته الفرنسية لمعاني القرآن الكريم، و تكملة لها لفهم السنة والسيرة الـنبـوية. وقـام الـدكتـور مـحـمود أحمد غازي نائب رئيس الجامعة الإسـلامية الـعـالـمية فـي إسلام آباد سابقاً بترجمة المجلد الأول منهما باللغة

الإنجليزية طبعه "مجمع البحوث الإسلامية" في إسلام آباد، عام 1998م

باسم: "The Life and Work of the Prophet of Islam" (54)

7- الأصول الستة لرسائل نبي الإسلام الدبلوماسية

(باللغة الفرنسية)

Six Origines des lettres diplomatiques du prophete de I'Islam

ألّف الدكتور حميدالله كتاباً هاماً آخر باللغة الفرنسية يضمّ ستّ رسائل لرسول الله صلّى الله عليه وسلم المرسلة إلى مقوقس الإسكندرية (مصر) والنجاشي ملك الحبشة وقيصر الروم و كسرى فارس والمنذر بن ساوي. وناقش الدكتور حميدالله أصالة وصحة هذه الرسائل ومنظورها التاريخي كما أورد الصور العكسية لهذه الرسائل في تأليفه. فهذا كتاب قيّم معرّف بسفارة رسول الله صلّى الله عليه وسلم ومنهجه في المراسلة والدعوة والتبليغ. (55)

8- القانون الدولي الإسلامي

(باللغة الإنجليزية)

Muslim Conduct of the State

كان الدكتور حميدالله طالب القانون والحقوق أساسياً. ثم كان أستاذاً و مؤلّفاً في هذا المجال. وكان مشغوفاً بمبادئ القانون والقانون الدولي خاصة. فكان معظم أبحاثه في الثلاثينيات والأربعينيات (1930–1950م)

تتعلّق بالقانون الدولى.. فقام بترجمة عدّة كتب للقانون الدولي من اللغتين الفرنسية والإنجليزية إلى اللغة الأردية التي طبعها قسم الترجمة بالجامعة العثمانية في حيدرآباد الدكن. ودرس الدكتور حميدالله القانون الدولي الغربي دراسة نقدية عميقةً ثم جمع و رتّب ماتيسّرله من تراث الفقه والتعليم الإسلامي المتعلّق بالقانون الدولي و قانون الصلح والحرب. وحاول التطبيق بينه و بين الأفكار الغربية الإيجابية المتعلّقة به، فقدّم انتاجاً فريداً جديداً فى هذا المجال. (56)

فكانت أطروحته المقدّمة للدكتوراه بجامعة بون الألمانية باللغة الألمانية سنة 1933م (طبعت في ألمانيا سنة 1935م) تتعلق بالقانون الدولي: "Neutialitat in Islamischen Volkerrecht" (عدم الانحياز في القانون الدولي الإسلامي) وهي كتابة أولى بنوعها في أيّة لغة غربية كما قال المؤلف، رغم تواضعه وانكسار طبعه. (57)

ثم قدّم أطروحته الثانية بجامعة سوربورن الفرنسية في أغسطس 1934م (طبعت في باريس 1935م) باللغة الفرنسية:

(السفارة الإسلامية في العهد النبوي والخلافة الراشدة)

Diplomatie Musulmane a l'epoque du Prophete
de I'Islam et des Khaliphes Orthodoxes. (58)

وكان قدّم أطروحته الثالثة للدكتوراه باللغة الإنجليزية إلى الجامعة العثمانية في حيدرآباد الدكن في عام 1939م / 1940م بإسم

"Muslim Conduct of the State" (القانون الدولي الإسلامي)

ويعتبر هذا الكتاب المطبوع آنذاک و بعده نموذ جاً مثالياً للبحث والتحقيق ا لإسلامى إلي ذلک الزمان. فهو كتاب جامع نادر المثال في بابه.

فكان كتاب (أوبين هائم) باللغة الإنجليزية المسمى "القانون الدولي" (International Law) معروفاً ومتداولاً آنذاك في مجلدين. وكان معترفاً به كمقرر دراسي للقانون الدولي بالكليات والجامعات. فاتّبع الدكتور حميدالله منهج هذا الكتاب وتقسيم عناوينه وأبوابه. ثم أورد في تاليفه كل ماتيسّر له من تراث العلاقات الدولية في الفقه والأدب الإسلاميين. وكل ذلك بترتيب جديد مؤثّر في قلوب الدراسين له. فلم يترك نقطة من أسئلة (أوبين هائم) إلاردّ عليها وأجاب عنها بالرجوع إلى المصادر والمآخذ الإسلامية. ولم يراجع كتب الفقه وأصول الفقه فقط، بل راجع كتب السيرة والتاريخ والمغازي والحروب وذكريات ومذكّرات الملاّحين والسائحين وكتب الأسفار وغيرها. فاستشهد بها في تأليفه المذكور بقدر الحاجة في موضعها. (59) فلا يزال الكتاب متداولاً كوثيقة أساسية في موضوعه، وطبع مراراً كما ترجم إلى عدة لغات وعلى رأسها اللغة التركية.

9- ترجمة فرنسية لخطب إقبال
وبال جبريل (جناح جبريل)

قام الدكتور حميدالله بترجمة خطب إقبال باللغة الفرنسية التي كان ألقاها باللغة الإنجليزية وكانت ترجمت إلى اللغة العربية باسم "تجديد الفكر الديني في الإسلام" (Reconstruction of Religious thought in Islam).

وكذلك ترجم الدكتور حميدالله كتابه المنظوم "بال جبريل" (جناح جبريل) باللغة الفرنسية. ولعب بذلك دوراً هاماً في نشر أفكار اقبال (1877– 1948م) بين الناطقين باللغة الفرنسية. (60)

10- (المدخل إلى الإسلام)

Introduction to Islam

يعتبر هذا الكتاب المشتمل على خمسة عشر باباً باللغتين الإنجليزية والفرنسية من أجمع الكتب المعرّفة بمبادئ الإسلام و أسس الإيمان. وترجم هذا الكتاب إلى أكثر من عشرين لغة شرقية و غربية.

وقصة ذلك كما رواها الدكتور حميدالله نفسه أن رجلاً مجهولاً من الأمريكان السود كتب إليه بأنه كان اعتنق الإسلام لسبب من الأسباب، فلم يجد كتاباً يعرّفه بدينه الجديد تعريفاً جامعاً، فسأله عن وجود مثل هذا التأليف و إخباره به. ففكّر الدكتور في ذلك، فلم يجد كتاباً جامعاً معرّفاً بالإسلام بالإنجليزية أو الفرنسية. فجمع مايزيد على عشرة من أصدقائه من أهل مصر وإفريقيا والهند وغيرها، فأراهم تلك الرسالة و اقترح عليهم أن يؤلفوا كتاباً جامعاً موجزاً محيطاً بجميع مقتضيات الإسلام. فلبّوا نداءه وقسّمت عناوين الأبواب المطلوبة بينهم. فكان على كل منهم أن يكتب باباً من الكتاب. فأكمل الدكتور حميدالله بابه المفوّض إليه في ثلاثة أشهر. ولكن الآخرين طلبوا مزيداً من الوقت لكتابة أبوابهم. وبدأ الدكتور حميدالله يكتب باباً ثانياً. وسأل زملاءه عن أبوابهم بعد شهر، فطلبوا مزيداً من الوقت. فأكمل الباب الثاني ثم الثالث في أثناء ذلك. ثم كتب الأبواب الباقية باباً باباً بمضي الوقت. ولم يستطع أحد غيره أن يكتب شيئًا من الباب المفوّض إليه. فأكمل الكتاب وأرسله إلى أخيه في حيدرآباد الدكن لطبعه. فطبع الكتاب و أرسل الدكتور حميدالله نسخة منه إلى المسلم الأمريكي المذكور كما أرسل نسخة أخرى إلى رجل عالم من أهل الكنيسة كان يراسله و يناقشه في الأمور

الخلافية. فكتب إليه بعد تسلّم الكتاب بأسبوعين أو ثلاثة شاكراً له وختم رسالته قائلاً:

قرأت كتابك فهو جيّد جداً ثم أعطيت
ابنتي ذلك الكتاب لتقرأه.

قال الدكتور حميدالله: كان الأب المسيحي لا يرى في هذا الكتاب شيئاً ضدالمسيحية فأعطاه ابنته الناشئة لتقرأه.

فهذه هي قصة هذا الكتاب موجزاً. فالكتاب نادر المثال في موضوعه يقدّم صورة واضحة للدين الإسلامي وأنظمته، عقيدة و عبادة، وخلقاً واجتماعاً وقضاءً وسياسة، وعدالة واقتصاداً، وحضارة وثقافة. ويشتمل الكتاب المؤلّف بالإنجليزية أول الأمر، على خمسة عشر (15) باباً فيما يقارب ثلثمائة صفحة. وينتشر باللغتين ا لإنجليزية والفرنسية على نطاق واسع. وترجم الكتاب إلى أكثر من عشرين لغة. (61)

ونـنقل من هذا الكتاب الشهير قطعة تتعلق بموقف الإسلام من الشعر لتدلّ على أسلوب الدكتور حميدالله في الكتابة:

"As for poetry, the Prophet declared: "There are verses and poems which are full of wisdom, and there are discourses of orators which produce a magical effect". The Qur'an has discouraged immoral poetry. Following this direction, the Prophet surrounded himself by the best poets of the opoch, and showed them the road to follow and limits to observe, thus distinguishing between the good and the bad use of this great natural talent. The poetical works of Muslims are

found in all languages and relate to all times, it would be impossible to describe them here even in the briefest manner. An Arab, however, finds himself always "at home" in this poety, as is found out by the synonimity of terms. "Bait" means both a tent and a verse of two hemistiches, "misra" means not only the flap of a tent but also a hemistich, "sabab" is rope of the tent as well as the prosodical foot, "watad" means a tent peg as well as the syllables of the prosodical foot. These are but a few among great many peculiarities of the language." (62)

11- خطبات بهاول پور

(خطب بهاول بور)

هي مجموعة اثنتي عشرة محاضرة ألقاها الدكتور حميدالله باللغة الأردية في قاعة غلام محمد غوتوى بجامعة بهاولبور الإسلامية من الثامن إلى العشرين من شهر مارس 1980م/ ربيع الأول 1400هـ بدعوة من رئيس الجامعة الأستاذ عبدالقيوم القرشي. وكانت عناوين هذه المحاضرات كالتالي:

1- تاريخ القرآن الكريم

2- تاريخ الحديث النبوي

3- تاريخ الفقه الإسلامي

4- تاريخ أصول الفقه والاجتهاد

5- القانون بين الدول

6- الدين (العقائد والعبادات والتصوف)

7- المملكة والإدارة

8- نظام الدفاع والغزوات

9- نظام التعليم و نشر العلوم

10- نظام التشريع والعدل

11- نظام المالية والتقويم

12- تبليغ الإسلام والمعاملة مع غير المسلمين

والجدير بالذكر أن الدكتور حميدالله ألقى هذه المحاضرات (أو الخطب) شفوياً بدون الرجوع إلى قطعة من القرطاس للإشارة أو التذكير. فكان لها تأثير كبير في قلوب المستمعين لفظاً ومعنى و بلاغة و أسلوباً.

وقام الأستاذ عبدالقيوم القرشي رئيس الجامعة الإسلامية في بهاولبور آنذاك بالإشراف على كتابة هذه المحاضرات وطبعها في تأليف جامع لها. فلمّا عينّ الأستاذ عبدالقيوم بالجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، أرسل نسخة من الكتاب المطبوع إلى الدكتور حميدالله للمراجعة والتعديلات اللازمة للطبعة الثانية، فقام بذلك. وطبع الكتاب بعد تصحيح الأخطاء وإضافة الفهارس الفنية، قام بطبعه "مجمع البحوث الإسلامية" إسلام آباد طبعة جيّدة صورة و قرطاساً.

وطبع الكتاب الصادر من "مجمع البحوث الإسلامية" سبع طبعات بتوقيع الدكتور حميدالله على صفحة العنوان الداخلية مع الكلمات الآتية باللغة الأردية: نسخة مصححة مؤلف (النسخة التي صحّحها المؤلف). (63)

والكتاب مفيد جداً للعلماء والمثقفين و عامة المسلمين و غيرهم الناطقين باللغة الأردية والفاهمين لها في شبه القارة كلها و خارجها، بل هو

نـادر المثال في بابه. وترجم الدكتور أفضل إقبـال "خطبات بهاول بور" باللغة الإنجليزية بإسم "The Emergence of Islam" ترجمة جيدة. (64)

وكـان الـدكتـور حـميدالله يحبّ باكستان شديداً لهويتها ا لإسلامية ويكثـر من زيارتها لأغراض علمية و ثقافية و لإلـقـاء المحاضرات بجامعاتها. وعـلـى رأسهـا جـامـعة بـنـجـاب بـلاهـور و جـامعة بهـاول بور الإسلامية وجامعة كراتشي والجامعة الإسلامية في إسلام آباد.

وكان ساهم كثيراً في تدوين الدستور الإسلامي بعد تأسيس باكستان بدعوة مـن حـكـومتها كعضو في "مجلس التعاليم الإسلامية، باكستان" الذي كـان مـقـرّه فـي مبـنـى "مـجلس الشعب الدستوري" بكراتشي. وكان الشيخ سـلـيـمان الندوي والمفتي محمد شفيع والشيخ ظفر أحمد الأنصاري وغيرهم من كبار علماء باكستان معه في المجلس. وكذلك كان معهم في إعداد " 22 نـقـطة لـلـعـلـمـاء" التي قُـدّمت إلى الحكومة الباكستانية (1951م) كـأسس الـدسـتـور الإسلامي الباكستاني بإجـمـا ع الـعـلـمـاء والمشائخ المنتسبين إلى جميع الأحزاب والجماعات والفرق الإسلامية البارزة.

وقـدّمـت لـه الـحـكومات والجامعات الباكستانية المختلفة المناصب الـرّسـمية والجامعية العلمية والدينية المختلفة بدأً من تأسيس باكستان إلى آخر حيـاتـه، ولـكـنـه لـم يـقبـلهـا واعتذر لاشتغالا ته العلمية والدينية الأخرى خارج بـاكستـان. فـلـمّـا لقيه السيد نوازشريف، رئيس الوزراء الباكستاني، في باريس أثناء زيارته الرسمية لفرنسا في 16 يناير 1992م، دعاه إلى باكستان ليقيم بها، ولكنّه اعتذر. (65)

12- كتاب السيّر الكبير

كان الدكتور حميدالله يحبّ الأتراك حبّاً شديداً، فتعلّم اللغة التركية. وكان يشهد بتمسّكهم بالدين رغم ماكان حدث بهم بعد إلغاء الخلافة العثمانية (1924م). فكان مستيقناً بإحياء وغلبة الفكر الإسلامي في تركيا مرة أخرى. وكان يكثر من زيارات تركيا و يقضي هناك أشهراً كلّ عام لحقبة من الزمان. وطبع كثير من محاضراته و مؤلفاته و مدوّناته باللغة التركية. وعلى رأسها "كتاب السيّر الكبير" في أربع مجلدات، يبحث في القانون الدولي الإسلامي. (66) وكان الإمام محمد بن الحسن الشيباني (م 189 هـ) تلميذ الإمام أبي حنيفة (م 150 هـ) ألّف "كتاب السيّر الكبير" الذي يعتبر مصدراً هاماً من مصادر القانون الدولي. فترجمه مع شرحه للسرخسي بالفرنسية، فطبع في تركيا.

العربية كلغة المسلمين الأم

خاطب الدكتور حميدالله مرّة المستمعين الأتراك في أنقره باللغة التركية، فقال: سألقي محاضرتي بلغتكم الأم. ثم ألقى محاضرته باللغة العربية ساعة أو أكثر. فتحيّر الأتراك على فعله ولكنهم استمعوا له صامتين إكراماً له و تجليلاً. فلما فرغ من محاضرته، خاطب الأتراك باللغة التركية وقال لهم:

أعلنت بأني سألقي محاضرتي بلغتكم الأم، ثم خاطبتكم
باللغة العربية فدهشتم. ولكنني لم أكذبكم بقولي هذا،
فاللغة العربية لغتكم الأم لأن الله سبحانه وتعالىٰ قال:

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم.

فلمّا سمع الأتراک تأويله هذا، رحّبوا به ترحيباً

وصفّقوا تصفيقاً شديداً. (67)

وهكذا ذكّر الدكتور حميدالله أهل تركيا بأسلوبه الحكيم أن اللغة العربية ليست لغة أجنبية للأتراک وغيرهم من المؤمنين بالله ورسوله، بل هي لغتهم ولغة أمهاتهم، أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فلا بدّ من الرجوع إليها في البيوت والمدارس والبلاد الإسلامية و خارجها في كل زمان و مكان. ولله درّ القائل والمستمع.

ملخص البحث

لا يمكن أن نحيط بشخصية و سيرة الدكتور محمد حميدالله (1908–2003م) ومؤلفاته و خدماته الجليلة في مقال موجز. ولكن ما لا يدرک كلّه لايترک كلّه. فحاولنا أن نلقي الضوء على بعض نواحي حياته ومؤلّفاته. وملخّص القول فيه انه كان من عباقرة الفكر والدعوة في القرن العشرين و نوابغ الإسلام والمسلمين والإنسانية في العصر الحديث.

فكان أبيض اللون، طويل القامة، نحيف الجسم، حلو الكلام، فصيح البيان، محتشماً و قوراً. وكان كثير العلم، واسع المعرفة، لم يخف في الله لومة لائم ولم يرد استبدال الآخرة بالدنيا الدنيئة. عاش حميداً ومات سعيداً. قال مافعل وفعل ماقال. وجال في البلاد داعياً ومبلّغاً. وكان قليل الزاد من الدنيا، عابداً زاهداً عارفاً باللغات الشرقية والغربية الكثيرة. وكان باحثاً كبيراً و محققاً فريداً، ومؤلفاً عظيماً.

وكان مترجماً لمعاني القرآن مفسّراً له باللغتين الفرنسية والألمانية خاصة. كما كان محدّثاً كبيراً، محقّقاً لمتون الحديث، باحثاً في علومه، مبلغاً لرسالة الإسلام. فأسلم على يده وبمحاولاته ثلاثون ألفاً من سكان فرنسا وأوروبا كما يروى. وطبعت ترجمته لمعاني القرآن بالفرنسية قريباً من أربعمائة ألف نسخة في حياته. وعلى هذا القياس.

وله مئات المؤلفات والمحاضرات يزيد عددها على مائة كتاب وألف مقال بتسع لغات على الأقل، وهي اللغة العربية والأردية والفارسية والتركية من ناحية، واللغة الإنجليزية الفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية وغيرها من ناحية أخرى.

فكان العصر عصره وكلّ مصر مصره، فلا جنسية ولا أهل ولا مال. فكان رجل العالم كلّه ولا يزال. ولا نجد له نظيراً ولا مثال. ولد في حيدرآباد الدكن وترعرع بها. وانتسب إلى شبه القارة وعاش قريباً من نصف قرن في فرنسا. وقضى السنين الأخيرة من حياته بالولايات المتحدة ودفن في جيكسون ويلي منها. ولا يزال حيًا بروحه وسيرته ومؤلفاته ومحاضراته وخدماته وذكرياته بعد انتقاله إلى جوار الله. وسيبقي اسمه وذكره مادام الإسلام والإنسان حيًا. وله الحسنة في الدنيا والآخرة. رحمه الله تعالى رحمة واسعة. (68)

❁ ❁ ❁

الهوامش

1- لطف الرحمن الفاروقي: (الدكتور محمد حميدالله– باحث عديم النظير) ڈاکٹر محمد حمیداللہ– ایک بے مثال محقق، مقال مطبوع في مجلة "دعوة" الأردية الشهرية لأكاديمية الدعوة بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، العدد: مارس 2003م / المحرم 1424 ھ (عدد خاص عن الدكتور محمد حميدالله) ص 45.

2- نفس المرجع، ص 45.

3- نفس المرجع، ص 45.

4- د. محمود أحمد غازي: (الدكتور محمد حميدالله: أبرز الباحثين في القرن العشرين) ڈاکٹر حمیداللہ: بیسویں صدی کے ممتاز ترین محقق، مقال مطبوع في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 28.

5- نفس المرجع، ص 29.

6- نفس المرجع، ص 29.

7- نفس المرجع، ص 29.

8- البروفيسور خورشيد أحمد: (آخر سهم من سهامنا) ترکش مارا خدنگ آخرین، برواية أحمد عبدالله المسنوسي زميل الدكتور محمد حميدالله، مقال مطبوع في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 80.

9- د. محمد عبدالله: (الدكتور محمد حميدالله: أمين الروايات العلمية) ڈاکٹر حمیداللہ: علمی رویات کے امین، مقال مطبوع في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 57.

10- لطف الرحمن الفاروقي: (الدكتور محمد حميدالله: باحث عديم النظير) ڈاکٹر محمد حمیداللہ: ایک بے مثال محقق، مقال مطبوع في مجلة، "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 45-46)

11- هذه المعلومات عن حيدرآباد الدكن و ولاية جموں و كشمير مأخوذة من المصادر المختلفة. و راجع أيضاً.

"Jammu and Kashmir Profile" in Monthly "Kashmir Insight" Islamabad, November 2002, P.31-51.

12- القرآن (آل عمران: 140).

13- القرآن (النمل: 34).

14- البروفيسور خورشيد أحمد: (آخر سهم من سهامنا) ترکش مارا خدنگ آخرین، مجلة، "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 81.

15- نفس المرجع، ص 77.

16- محمد صلاح الدين: (الدكتور محمد حميدالله: إسماً وعملاً) ڈاکٹر محمد حمیداللہ: نام اور کام، حوار الدكتور محمد حميدالله مع رئيس التحرير لمجلة "تكبير" الأسبوعية الصادرة من كراتشي، طبع فيها سنة 1992م. و كان السيد صلاح الدين زاره في شقته في باريس يوم الأربعاء، 15 يناير 1992م مع القاضي أسد عابد رئيس التحرير لجريدة "عبرة" اليومية الصادرة من مدينة حيدرآباد، السندية في باكستان، ومع السيد قيصر بث، رئيس التحرير لجريدة

"فرنتير بوست" اليومية الصادرة من مدينة بيشاور عاصمة أقليم سرحد في باكستان. وكانوا مصاحبين للسيد نواز شريف رئيس الوزراء الباكستاني أثناء زيارته الرسمية لفرنسا في يناير 1992م. راجع مجلة، "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 85-86.

17- نفس المرجع، ص 86.

18- راجع مقال البروفيسور خورشيد أحمد: (آخر سهم من سهامنا) ترکش مارا خدنگ آخرين، ص 77، وحوار السيد صلاح الدين معه والمطبوع باسم (الدكتور محمد حميدالله: إسماً وعملاً) ڈاکٹر حميدالله نام اور کام، ص 84-85، في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م. و روى السيد صلاح الدين عنه أنه كان تقاعد بعد 25سنة، وكان رئيس التحرير لمجلة فرنسية شهرية "فرانس اسلام" لمدة طويلة.

19- لطف الرحمن الفاروقي: (الدكتور محمد حميدالله– باحث عديم النظير) ڈاکٹر محمد حميدالله– ایک بے مثال محقق، ص 47، و محمد صلاح الدين (الدكتور محمد حميدالله: إسما و عملاً) ڈاکٹر محمد حميدالله: نام اور کام، ص 85، فروى صلاح الدين عنه أن عدد مؤلفاته يزيد على مائة كتاب كما أن عدد مقالاته و أبحاثه المطبوعة في المجلات و الجرائد العالمية و باللغات المختلفة يبلغ إلى 921 مقالاً (15 يناير 1992م) مجلة "دعوة" اسلام آباد، مارس 2003م.

20- رواية الدكتور محمد الغزالي رئيس قسم العلوم الإجتماعية بمجمع البحوث الإسلامية في حفلة تأبين للدكتور حميدالله (21 يناير 2003م) التي عقدها مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد. راجع تقرير السيد إحسان الحق حقاني بعنوان: (الرجل الفقير الذي أعطاه الله شأن

المملوک) وہ مرد درویش جس کو حق نے دیتے ھیں انداز خسروانہ، مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 100.

21- محمد صلاح الدين: (الدكتور محمد حميدالله: اسماً و عملاً) ڈاکٹر محمد حمیداللہ: نام اور کام، حواره مع الدكتور حميدالله في داره بباريس، 15 يناير 1992م. (ان کا سب سے عظیم کارنامہ فرانسیسی زبان میں قرآن حکیم کا ترجمہ اور تفسیر ھے. اس کے 19 ایڈیشن شائع ھو چکے ھیں، ھر ایڈیشن 10 سے 20 ھزار کی تعداد میں طبع ھوا ھے اور آج کل وہ 20 ویں ایڈیشن کا پروف پڑھنے میں مصروف ھیں) ص 85، مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م.

22- هذه المعلومات مأخوذة من المصادر المختلفة. وبعضها عن طريق مباشر.

23- خورشید أحمد (آخر سهم من سهامنا) ترکش مارا خدنگ آخرین، ص 80، و محمد صلاح الدين (الدكتور محمد حميدالله: إسماً و عملاً) ڈاکٹر محمد حمیداللہ، نام اور کام، ص 84، في مجلة "دعوة إسلام آباد، مارس 2003م.

24- هذه المعلومات مأخوذة من المصادر المختلفة.

25- لطف الرحمن الفاروقي: (الدكتور محمد حميدالله– باحث عديم النظير) ڈاکٹر محمد حمیداللہ: ایک بے مثال محقق، في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 49، برواية الدكتور سلمان الندوي بن العلامة محمد سليمان الندوي، رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة دربن في إفريقيا الجنوبية سابقاً. فذكر أن الدكتور حميدالله مرض في عام 1996م و روى غيره العام 1995م.

26- نفس المرجع، ص 45.

27- القرآن (الفجر: 27-30).

28- هذه المعلومات مأخوذة من المصادر المختلفة. و راجع للحديث مشكوة المصابيح.

29- لطف الرحمن الفاروقي: (الدكتور محمد حميدالله: باحث عديم النظير) ڈاکٹر محمد حميدالله: ایک بے مثال محقق، فی مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 46.

30- الشيخ عتيق الرحمن السنبهلي: (وقعة كربلاء و منظورها) واقعه كربلا اور اس كا پس منظر، الفرقان بكڈپو (دار الفرقان للكتب)، لكناؤ، الهند، الطبعة الثالثة، فبراير 2000م، رسالة الدكتور محمد حميدالله إلى المؤلف، ص 8.

31- عتيق الرحمن السنبهلي: واقعة كربلاء، الباب 6، ص 137-142، و 142-145 و "اختتامية" ص 288.

32- السنبهلي: واقعه كربلاء، الباب 10، ص 203-204 (برواية الطبرى عن محمد الباقرؒ، ج 6، 220).

33- نفس المرجع، الباب 11، ص 285 (برواية الطبرى، 220/6).

34- نفس المرجع، الباب 12، ص 276-274.

35- الغزالي، الإمام أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت، داراحياء التراث العربي، الجز الثالث (كتاب آفات اللسان، الآفة الثامنة: اللعن) ص 123.

36- السنبهلي: واقعه كربلاء، رسالة الدكتور محمد حميدالله إلى الشيخ عتيق الرحمن السنبهلي، ص 6.

37- نفس المرجع، ص 7.

38- لطف الرحمن الفاروقي: (الدكتور محمد حميدالله– باحث عديم النظير) ڈاکٹر محمد حميدالله– ایک بے مثال محقق، ص 47، و محمد صلاح الدين (الدكتور محمد حميدالله: إسماً و عملاً) ڈاکٹر محمد حميدالله: نام اور کام، ص 85، في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م.

39- لطف الرحمن الفاروقي: (الدكتور محمد حميدالله– باحث عديم النظير) ڈاکٹر محمد حميدالله– ایک بے مثال محقق، ص 51-52، في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، نقلاً عن ترجمة "خطبات بهاول بور" الإنجليزية للدكتور أفضل إقبال:

Muhammad Hamidullah: The Emergence of Islam, Islamabad, Islamic Research Institute, 1st Edition 1993, p. 269-273.

40- نفس المرجع، ص 52-53.

41- نفس المرجع، ص 54-55.

42- نفس المرجع، ص 53-54.

43- نفس المرجع، ص 55.

44- محمد صلاح الدين: (الدكتور محمد حميدالله: إسماً و عملاً) ڈاکٹر محمد حميدالله: نام اور کام، (في مجلة "تكبير" الأسبوعية، كراتشي، فبراير 1992م: كان قائماً بمراجعة مسودة الطبعة العشرين في يناير 1992م) مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 85. وملخص الروايات المختلفة في هذا الصدد هو أن ترجمته الفرنسية لمعاني القرآن الكريم طبع عشرين طبعة على الأقل في حياته وفي كل طبعة، عشرون ألف نسخة أوسطاً. (مابين عشرة آلاف و عشرين ألف نسخة).

45- حوار الدكتور محمد حميدالله مع الأستاذ أبي الأعلي المودودي في بينه بلاهور في السبعينيات (سنة 1974م في الأغلب) لما كنت موجوداً مع الآخرين.

46- نفس المرجع.

47- د. خالد علوي (خدمات الدكتور حميدالله في مجال الحديث) ڈاكٹر حميدالله كي خدمت حديث، في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 40 و 42.

48- نفس المرجع، ص 40 و ص 41-42.

49- نفس المرجع، ص 42.

50- نفس المرجع، ص 40-41

51- د. محمود أحمد غازي: (الدكتور محمد حميدالله: أبرز الباحثين في القرن العشرين) ڈاكٹر محمد حميدالله: بيسويں صدى كے ممتاز ترين محقق، مقال مطبوع في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 31-32.

52- د. محمد عبدالله: (الدكتور محمد حميدالله: أمين الروايات العلمية) ڈاكٹر محمد حميدالله: علمي روايات كے امين، مجلة "دعوة" اسلام آباد، مارس 2003م، ص 65-66.

53- نفس المرجع، ص 66.

54- نفس المرجع، ص 68.

55- نفس المرجع، ص 68.

56- د. محمود أحمد غازي: (الدكتور محمد حميدالله: أبرز الباحثين في القرن العشرين) ڈاكٹر محمد حميدالله بيسويں صدى كے ممتاز ترين محقق، في

مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 27-28.

57- نفس المرجع، ص 28.

58- نفس المرجع، ص 29.

59- نفس المرجع، ص 30.

60- د. محمد عبدالله: (الدكتور محمد حميدالله: أمين الروايات العلمية)
ڈاکٹر محمد حمیداللہ: علمی روایات کے امین، في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 68-69.

61- لطف الرحمن الفاروقي: (الدكتور محمد حميدالله– باحث عديم النظير)
ڈاکٹر محمد حمیداللہ: ایک بے مثال محقق، ص 48-49، في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، و راجع "الدكتور محمد حميدالله" في مجلة "تكبير" الأسبوعية، كراتشي، 21 مايو 1993م، ص 26-27.

62- Muhammad Hamidullah, Introduction to Islam, Kuwait, International Islamic Federation of student organizations (I.I.F.S.O), 1977, P.200.

63- د. محمد عبدالله: (الدكتور محمد حميدالله: أمين الروايات العلمية)
ڈاکٹر محمد حمیداللہ: علمی روایات کے امین، في مجلة "دعوة" اسلام آباد، مارس 2003م، ص 63-64.

64- خورشيد أحمد: (آخر سهم من سهامنا) ترکش ما را خدنگ آخرین، مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 77.

65- راجع محمد صلاح الدين (الدكتور حميد الله: إسماً و عملاً) ڈاکٹر حمیداللہ:

نام اور کام، ص 84، و خورشید أحمد (آخر سهم من سهامنا) ترکش مارا خدنگ آخرین، ص 79، في مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م.

66- محمد صلاح الدين: (الدكتور حميدالله: إسماً و عملاً) ڈاکٹر حمیداللہ: نام اور کام، مجلة "دعوة" إسلام آباد، مارس 2003م، ص 85، حواره مع الدكتور حميدالله في بيته في باريس في 15 يناير 1992م، فأراه كتاب "السير الكبير" المطبوع حالياً باللغة التركية في أربع مجلدات.

67- رواية الدكتور أمين الله وثير، رئيس القسم العربي بجامعة پنجاب، لاهور، (باكستان) سابقاً و الأستاذ الزائر للغة العربية بالمعهد الإسلامي العالي، بجامعة أرجتيس، قيصري (تركيا) سابقاً (1969-1972م)، وكان الدكتور حميدالله ذكر له ذلك بجامعة استانبول، وكان خطابه المذكور بالنفرة في الخمسينيات (1955م تقريباً) و راجع للآية المذكورة الأحزاب: 6.

68- هذه المعلومات والتفاصيل عن حياة الدكتور محمد حميدالله (1908–2002م) و سيرته و مؤلفاته مأخوذة من المصادر والروايات المباشرة و غير المباشرة الكثيرة وهي محتملة الأخطاء، ولا سيما في الأسماء الأجنبية لمشكلة الطباعة و غيرها، فالرجاء تصحيح الأخطاء و تصويب الأغلاط إن كانت وجدت ولكم جزيل الشكر.

❁ ❁ ❁

المصادر والمراجع

1- الله جل جلاله: القرآن الكريم.

2- الآلوسي، شهاب الدين محمود: روح المعاني، مصر، إدارة الطباعة المنيرية، 1353هـ.

3- ابن عبدربه: العقد الفريد، مصر، المطبعة الجمالية، 1331هـ.

4- ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدسي، 1351هـ.

5- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مصر، المنار، 1347هـ.

6- ابن كثير: السيرة النبوية (تحقيق: مصطفى عبدالواحد) بيروت، دار احياء التراث العربي، 1964م.

7- أظهر، د. ظهور احمد: إقبال العرب على دراسات إقبال (جمع و اختيار و تقديم: د. ظهور احمد اظهر) لاهور، المكتبة العلمية، نوفمبر 1977م / ذوالحجة 1397هـ.

8- أنيس، الدكتور إبراهيم: اللغة بين القومية والعالمية، مصر، دار المعارف، 1970م.

9- البخاري، الإمام: الجامع الصحيح، مصر، بولاق، 1315هـ.

10- البغدادي، إسماعيل باشا، هديه العارفين، أسماء المؤلفين و آثار المصنفين، إستانبول، مطبعة وكالة المعارف الجليلة، 1955م، وبيروت، مكتبة المثنى.

11- البغوي: معالم التنزيل، مصر، المنار، 1347هـ.

12- البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل، مصر، مصطفى البابي الحلبي، 1388هـ.

13- الجاحظ: البيان والتبيين، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1345هـ.

14- الجهني، د. مانع بن حماد: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب، المعاصرة، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1418 هـ.

15- حسان، بن ثابت: ديوان حسان (ضبط و تصحيح: عبدالرحمن البرقوقي) بيروت، دار الأندلس، 1386هـ / 1966م.

16- حقي، د. إحسان: باكستان، ماضيها و حاضرها، بيروت، دار النفائس، 1393 هـ / 1973 م.

17- الخطيب التبريزي: مشكاة المصابيح، لاهور، المكتبة الرحمانية.

18- خليفة، حاجي مصطفىٰ بن عبدالله: كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، بيروت، منشورات مكتبة المثنى و إستانبول، معارف مطبعه سي، 1360هـ / 1941م.

19- روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين (ترجمة الدكتور صالح احمد العلي و مراجعة محمد توفيق حسين) بغداد، مكتبة المثنى 1963م.

20- الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، مؤسسة الرسالة (الطبعة الثالثة) 1389هـ / 1979م.

21- الزيّات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، القاهرة، مطبعة الأنجلو المصرية، 1955م.

22- زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1967م.

23- السخاوي، شمس الدين: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دمشق، مطبعة الترقي، 1349هـ.

24- السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، مكتبة القدسي، 1353 - 1355هـ.

25- السهيلي: الروض الأنف، مصر، المطبعة الجمالية، 1914م / 1332هـ.

26- السيوطي والمحلي، جلال الدين: تفسير الجلالين، دمشق، مكتبة الملاّح، 1383هـ.

27- السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان (حرّره الدكتور فليب حتي) نيويورك، المطبعة السورية الأميريكية لصاحبها سلّوم مكرزل، 1927م.

28- السيوطي، جلال الدين: المزهر، مصر، المكتبة الأزهرية، 1325هـ.

29- الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1348هـ.

30- الطبري، إبن جرير: تاريخ الرسل والملوك، القاهرة.

31- العيدروسي: عبدالقادر، النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ضبط و تصحيح محمد رشيد أفندي الصفار) بغداد، المكتبة العربية، مطبعة الفرات 1353هـ / 1934م.

32- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

33- الغزي، نجم الدين: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (ضبط و تحقيق:

جبرائيل سليمان جبور) بيروت، محمد امين دمج و شركاه، 1945م.

34- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، 1376هـ / 1957م.

35- المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، مكتبة خياط.

36- مسلم، الإمام: الجامع الصحيح، مصر، المطبعة الكستلية، 1283 هـ.

37- المطهري، مرتضىٰ: الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجرى، دراسة و تصحيح (نهضت هاى اسلامى درصد ساله اخير) المترجم: صادق العبادى، طهران، وزارة الارشاد الاسلامى، 1402 هـ. ق.

38- المقري: نفح الطيب، بيروت، دار الكتاب العربي، 1949م. ومطبعة بولاق، مصر، 1279هـ، والمطبعة الأزهرية 1302هـ، و دارالمامون 1355هـ / 1936م، وطبعة ليدن، 1855م.

39- المقري: نفح الطيب، مصر، المطبعة الأزهرية، 1302هـ، وطبع على هامشه كتاب السخاوي "تحفة الأحباب".

40- منور، الأستاذ محمد: أبحاث ذكرى إقبال المئوية (اعداد: الاستاذ محمد منور) قسم الاقباليات بجامعة بنجاب، لاهور، مطبعة المكتبة العلمية، 1982 م.

41- الندوي، ابو الحسن علي: روائع إقبال، كراچي، مجلس نشرياتِ إسلام، الطبعة الرابعة، 1403 هـ / 1983م.

42- النووي، الإمام شرف الدين، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصر، المطبعة الكستلية، 1283هـ.

43- ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اللغات السامية، مصر، مطبعة الاعتماد، 1929م.

44- مجلة الكلية الشرقية: الكلية الشرقية، بجامعة بنجاب، لاهور، پاكستان، العدد مايو 1948م والعدد 3-4، 1991م.

45- مجلة "اللسان العربى" (نصف سنوية) الرباط، العدد 20، 1982م.

باللغة الأردية (اردو)

46- اقبال، علامه محمد: کلیات اقبال (فارسی، رموز بیخودی) غلام علی اینڈ سنز، لاهور، طبع سوم، 1978م.

47- اکرم، د. سید محمد: اقبال اور ملّی تشخص (إقبال والهوية القومية) بزم اقبال، لاهور، باشتراک شعبه اقبالیات، جامعة پنجاب، لاهور، اکتوبر 1988م.

48- جامعة پنجاب، لاهور: تاریخ ادبیات مسلمانان پاکستان و هند (تاریخ آداب المسلمين في باكستان والهند) جلد 2، طبع اول، 1972م، ج 2 وغیره.

49- جامعة پنجاب، لاهور: اردو دائره معارف اسلامیه، لاهور، نیو لائٹ پریس وپنجاب یونیورسٹی پریس، 1393ھ / 1974م، ج 10 وغیره.

50- السخاوي، شمس الدين: الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ (اردو ترجمه از سید محمد یوسف) لاهور، مرکزی اردو بورڈ، 1978م.

51- فاروقی، حمزه: سفرنامه اقبال (كتاب أسفار إقبال) لاهور، اقبال اکیڈمی، طبع اول، 1998م.

52- سلیم، ڈاکٹر محمد: علامه اقبال کی سیاسی زندگی (حياة العلامة إقبال السياسية) سنگ میل پبلی کیشنز، لاهور، 2001م.

53- سنبهلی، عتیق الرحمن: واقعه کربلا اور اس کا پس منظر (وقعة كربلاء و منظورها) لکهنؤ، الفرقان بک ڈپو، طبع سوم، فروری 2000م.

54- معین، د. مظهر: عصر جدید میں عربی زبان، لاهور، الفیصل پبلشرز، لاهور، 2003م.

55- هفت روزه "تکبیر" کراچی، فروری 1992م.

56- ماهانه مجله "دعوة" اسلام آباد، دعوة اکیڈمی، الجامعة الإسلامية العالمية، عدد مارچ 2003م / محرم 1424ھ.

57- المقري: نفح الطيب (اردو) المترجم: خليل الرحمن السرادهوي، علیگره، مسلم یونیورسٹی انسٹی ٹیوٹ، 1921م، و کراتشی، أكاديمية نفيس، 1973م.

باللغة الانجليزية (English)

58- Gayangos. Pascul de. A History of Mohammaden Dynastics in Spain. London, 1840.

59- Gibb, H.A.R: Arabic Literature, oxford University Press, 1963.

60- Hamidullah, Dr. Muhammad: Introduction to Islam, Kuwait, International Islamic Federation of Student Organizations (I.I.F.S.O.) 1977.

61- Hamidullah, Dr. Muhammad: Emergence of Islam (Khutbat Bahawalpur: Translated by Dr. Afzal Iqbal) Islamabad, Islamic Research Institute, First Edition. 1993.

62- Hitti, Philip K: History of the Arabs, London, Macmillan, 1956.

63- Hitti. Philip K: History of the Arabs. New York. 1968.

64- Nicholson. r. A: A Literary History of the Arabs. London. 1969.

65- Rosenthal, Franz: An Introduction to History (English translation of Ibn Khaldun's "The Mukaddimah", Routledge & Kegan Paul Limited., 1958.

66- Rosenthal, Franz: A History of Muslim Historiography, Leiden, Netherlands, E.J. Brill Limited.

67- Encylopedia of Islam. Leyden. Volume 3.

68- "Kashmir Insight" (Monthly Magzine) Islamabad, November 2002.

المحتويات

☆	كلمة الناشر	3
☆	تصدير، للأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر	5
☆	كلمة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم	9
☆	كلمة المؤلف	13
-1	الباب الأول	15
	موقف الإسلام من الشعر	17
-2	الباب الثاني	55
	شمس الدين السخاوى مؤلفا	57
-3	الباب الثالث	79
	المقري و كتابه "نفح الطيب"	81
-4	الباب الرابع	101
	إقبال والعروبة	103

5-	الباب الخامس	161
	الدكتور محمد حميد الله: سيرته و مؤلفاته	163
6-	المصادر والمراجع	217

الأطياف الخمسة

AL-ATYĀF AL-KHAMSAH

Dr. Mazhar Moeen

Department of Arabic,
University of the Punjab,
Lahore, Pakistan.